إهـداء

إلى التي أحبتني برعايتها

وتدعدعت في حبها

إلى بلدي الحبيب اليمن ...

obeikandl.com

شكر وتقدير

أود أن أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان إلى معهد البحوث والدراسات العربية ولرئيسه الأستاذ الدكتور/ أحمد يوسف أحمد الذي منح هذا المعهد كل طاقاته واستطاع أن يوجد للمعهد شرعية أكاديمية من خلال جهوده الدؤوبة في متابعته لاتحاد الجامعات العربية، وإعادة الاعتراف بالدرجات العلمية التي يمنحها المعهد، إضافة إلى إدخال دراسات الدكتوراة في مختلف المجالات للعلوم الإنسانية ..

كما أسجل هنا بكل اعتزاز شكري وتقديري للأستاذ الدكتور "عبد الخالق محمد لاشين" الذي علّمني ما جهلت منذ كنت طالباً في دراستي الجامعية أواخر السبعينات بجامعة صنعاء. كما حالفني الحظ بأن يكون مشرفاً على هذا البحث في اختياره منذ أن كان مجرد فكرة والسير به في جميع مراحل البحث.

وأسجل شكري وتقديري للأستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم "الذي تتلمذت على يديه في دراسة الدبلوم. كما كان مشرفاً على رسالة الماجستير .

كما أتوجه بالشكر لكل من ساهم معي في توفير مراجع هذا البحث من الباحثين الزملاء. ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر والتقدير لجامعة صنعاء التي منحتني فرصة الدراسة في هذا المعهد.

أخيراً: ثمة كلمة تقدير وعرفان أسجلها لجمهورية مصر العربية التي أحاطتني برعايتها وجمهور علمائها. وغمرتني بسخاء أبنائها من خلال المكتبات العامرة بأمهات الكتب.

عبد الوهاب آدم العقاب

obeikandl.com

المقدمة

جاء اختيار هذا الموضوع بغرض إلقاء الضوء على محور العلاقات اليمنية بشبه الجزيرة العربية أو أطراف منها ..

ويعود أهمية اختيار هذا الموضوع إلى عاملين أساسين الأول سياسي تمثل بالبعد الإستراتيجي لسياسة النظامين المختلفين بين اليمن والمملكة السعودية . والأخر تاريخي يتناول أبعاد الصراع والوفاق بين الدولتين والذي شمل طوراً تاريخياً عبر المرحلة التاريخية التي حددها عنوان البحث.

بدأ الباحث في التنقيب في أعماق التكوين التاريخي لليمن الشمالي والمملكة العربية السعودية، وتتبع الباحث الدراسات الأكاديمية السعودية واليمنية والدراسات العربية والأجنبية .. واجتهد الباحث بإخراج البحث بالصورة العلمية الموضوعية، منطلقاً من مبدأ تقويم الأحداث بروح موضوعية نقدية.

تكونت الدولتان (اليمن والسعودية) في نفس الفترة التي تم فيها تقطيع الدول العربية إلى إمارات ومشيخات قبلية ودويلات هزيلة على يد كل من (إنجلترا وفرنسا) في إطار معاهدة (سايكس ـ بيكو) ١٩١٦ وتبنت إنجلترا تحديد الحدود في الدول التي خضعت لنفوذها من أجل استبقاء الحال على ما رسمته لمستقبل العالم العربي .. وما جرى بين اليمن والسعودية يدخل ضمن إطار المخطط البريطاني والأوروبي في دائرة الصراع العربي ـ العربي.

ناضل الإمام يحيى حميد الدين من أجل استقلال اليمن للخروج عن دائرة الحماية العثمانية والسيطرة على الأراضي اليمنية كلها من صنعاء إلى عسير .. وكانت عسير تخضع لإدارة الأمراء الأدارسة.

كان الإمام يحيى يحاول العمل على إعادة الأراضي التي تخضع للاحتلال البريطاني في جنوب اليمن، لذلك التقت مطامع الإدريسي بالمطامع البريطانية على استبقاء الحال كما هو عليه، وعندما انهزمت القوات الإدريسية أمام الإمام يحيى،

لجأ الإدريسي إلى ابن سعود، وطمع ابن سعود في الاستيلاء على إقليم عسير وجيزان ونجران.

عاد الإمام يحيى، من مواقعه العسكرية ـ في صراعه مع ابن سعود ـ يجر أذيال الهزيمة وانعكست تلك الخيبة على سياسته الداخلية والخارجية .. ومارس نشاطاً سياسياً متحذلقاً، يقوم على سياسة العزلة عن العالم من حوله.

رزح الشعب اليمنى بين ثلاثي خطير (الجهل ـ الفقر ـ المرض) فاتخذت المعارضة قرار الانقلاب والإطاحة بالإمام يحيى .. إلا أن الانقلاب واجهته ثورة مضادة بزعامة ولي عهده الأمير أحمد، قضت على رجال الحركة الانقلابية، وينجح ابن سعود في دعم الإمام الجديد أحمد معنوياً. فتحسنت العلاقات بين الدولتين طوال فترة حياة الإمام أحمد حميد الدين.

جاء الإمام أحمد بثوب أبيه يحمل نفس الأفكار الانعزالية لليمن، حتى في علاقاته الخارجية التي لم تتحسن كثيراً .. ونجح ابن سعود في كسر طوق العزلة بينه وبين الإمام أحمد فقد قام ولي عهد الملك عبد العزيز وابنه الأكبر "سعود" بالذهاب إلى صنعاء لتقديم العزاء للإمام أحمد في وفاة والده، وتقديم تهانيه في الانتصار الذي حققه في تصفية الانقلابين وتبودلت الزيارات بين الدولتين وسمح للقوافل التجارية أن تمارس نشاطها بين الدولتين. فقد كانت اليمن. تصدر محاصيلها الزراعية من: بن وقمح وذرة و سمن، إلى أراضي المملكة السعودية، وتحسنت العلاقات السياسية إلى حد كبير في عهد الإمام أحمد، فأثناء نشوب الخلاف بين الإمام أحمد وأخيه الأمير عبد الله، والمحاولة الانقلابية الفاشلة .. تخوف ابن سعود من ظاهرة الانقلاب وتصدع أسرة بيت حميد الدين، حتى لا تتسرب مثل هذه الخلافات إلى أسرة آل سعود. لذلك قام الملك سعود بإجراء سريع في دعم الإمام أحمد كما يوضحه البحث هذا. وحملت هذه الظاهرة في العلاقات إلى إنجرار اليمن المتوكلي للانضمام إلى حلف ثلاثي مع مصر في عام ١٩٥٦ .. وكان ذلك أول خروج الإمام أحمد من عزلته.

كما اطمأن الإمام أحمد إلى ابن سعود في السماح للمملكة السعودية أن يكون لها بنك تجاري في اليمن.. ومع منتصف الخمسينات تسربت عمالة يمنية إلى المملكة السعودية، وفتحت مكاتب للصرافة من أجل خلق حركة في التحويلات بين اليمن والسعودية، وكانت أهم ظاهرة في التعاون بين الدولتين.

وكانت فترة الخمسينات مخاض حراك ثوري في العالم والشرق الأوسط، وكانت مصر منبر الدعوة للتحرر والاستقلال والوحدة العربية فظهرت في اليمن والسعودية على حد سواء، تجمعات سياسية تطالب بالتغيير والثورة، فنجحت في اليمن وأخفقت في السعودية، لذلك كان رد الفعل السعودي هو حماية عرشها من تسرب رياح الثورة إليها فقامت بدعم الإمام البدر الذي لجأ إليها ودعمته بالمال والسلاح والخبرات العسكرية الأجنبية منها والمحلية، بالمقابل قامت الجمهورية العربية المتحدة بدعم النظام الجمهوري اليمني .. فتكاثرت المحن على اليمن واليمنيين، وعاشت اليمن طوال ثماني سنوات في حرب أهلية قاسية. فتآكل المشروع الثوري التنموي بعد أن تم تصفية خيرة أبنائها ونجح المشروع السعودي في المصالحة والدعوة إلى عودة العلاقات بين اليمن والسعودية.. في عام ١٩٧٠ ..

وقد شكلت الوثائق (السعودية واليمنية) وكذلك الأجنبية، التي توفرت لدى الباحث - على قلتها - جزءاً هاماً لمراحل البحث.. وقد عالجت الصحف اليمنية - السعودية أهم الأحداث، وبتنوع المصادر والمراجع على اختلافها فقد التزم الباحث بمبدأ الاستقصاء والمقارنة والترجيح، سواءً كانت أجنبية أو عربية، أو محلية (سعودية أو يمنية).

وقد استفاد الباحث من الدراسات الأكاديمية العلمية على قلتها، والمذكرات الشخصية لفريق من الباحثين والسياسيين اليمنيين والسعوديين، عرب، وأجانب .. كما استفاد الباحث من المقابلات الشخصية لبعض من الشخصيات اليمنية رغم تحفظاتهم حول كثير من القضايا الهامة.

وكانت مسألة الحدود بين البلدين هي أهم محدد تاريخي في طور العلاقات بين اليمن والسعودية. وفي هذا الإطار فقد صدرت في السنوات الأخيرة عدة دراسات

علمية تناولت العلاقات بين اليمن والسعودية، إلا أنها على قلتها لا تزال غير كافية في تناول مراحل الصراع والوفاق بين البلدين الجارين، وذلك بسبب قلة المصادر الوثائقية المسموح بالاطلاع عليها وخاصة في البلدان العربية وبوجه خاص في اليمن والسعودية، فكل شيء يعتبر تحت طي الكتمان والسرية حتى في أبسط القضايا المعروفة .. وكان في حوزة اليمن الجنوبي ـ سابقاً ـ أرشيف وثائقي هام، من بقايا ما تركه البريطانيون .. إلاّ أن هذه الوثائق وغيرها من المصادر التي كان من المفترض الرجوع إليها قد أحرقت أثناء الحرب الأهلية اليمنية الأخيرة في عام ١٩٩٤.

وقد واجهت الباحث بعض الصعوبات ومنها عدم التوفيق في الحصول على مراجع يمكن الاعتماد عليها لافتقار أكثرها إلى الموضوعية.. كما واجه الباحث معضلات في عدم التوفيق بالمقابلات الشخصية لبعض الرموز التي كان لها دور فاعل في الستينات. معظمها تعود إلى تخوف هؤلاء الأشخاص من إبداء بعض الحقائق التي يحتفظون بها لديهم.

كما أن بعض من تيسر للباحث مقابلتهم كانوا غير موضوعيين في الطرح أو النقاش فمنهم من نسب لنفسه كل البطولات الفدائية منذ الخمسينيات وحتى نهاية الستينيات.. ومنهم من أعرض وجانب الصواب خوفاً من تسرب معلومات قد تسيء إلى عناصر ما زالوا على قيد الحياة.

ومن الصعوبات أيضاً، عدم تجاوب السفارة السعودية بالقاهرة، مع الباحث في منحه بعض المعلومات المتوفرة لديها. كذلك ندرة المصادر والدوريات اليمنية في السفارة اليمنية بالقاهرة، أو بالأرشيف اليمنى غير المسموح الاقتراب منه إن وجد.

وقد اشتمل البحث على سبعة فصول، مع خلفية تاريخية تناولت الإجابة عن أسئلة عديدة أهمها ما هي الأبعاد التاريخية للعلاقات بين اليمن والسعودية؟ وكيف تصدعت العلاقات بين البلدين؟ وكيف تم معالجتها؟ وفي الفصل الأول: الذي تناول العلاقات اليمنية ـ السعودية من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٢ تناول معالم محورية هامة، حيث أجاب عن ردود الفعل السياسية للمتغيرات المختلفة في اليمن المتوكلي .. وانجرار اليمن إلى حلف ثلاثي عسكري، وما تبع ذلك من تطورات سياسية هامة.

أما الفصل الثاني: فقد تناول الموقف السعودي من ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ .. وقد لعبت المملكة السعودية دوراً كبيراً في صناعة الأحداث المعارضة للثورة.. وقد أجاب هذا الفصل عن أسئلة هامة، أهمها: تبني المملكة السعودية سياسة العداء من الثورة الجديدة في اليمن، ولماذا احتوت المناوئين للثورة كما تبنتهم في إشعال الحرب الأهلية في اليمن؟

ويتحدث الفصل الثالث: عن دور المملكة العربية السعودية في التصعيد العسكري في اليمن في الفترة من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٤، وقد لعب الدور المصري العسكري دوراً مهماً في حماية الثورة اليمنية وكان للجامعة العربية والأمم المتحدة دور هام في محاولة فك الاشتباك بين المتحاربين.

أما الفصل الرابع: فقد تناول الدور السعودي في محاولة حل الأزمة اليمنية من ١٩٦٤ وحتى ١٩٦٦ وهو دور بدأ من عقد مؤتمر " أركويت " في السودان في أواخر (أكتوبر ١٩٦٤)، ثم مؤتمر الطائف (أغسطس١٩٦٥) وتبعه مؤتمر جدة (أغسطس ١٩٦٥) تبعه بعد ذلك المؤتمرات الشعبية القبلية، التي أجريت في الساحة اليمنية، مركزاً على جانب العلاقات بين البلدين.

وتعرض الفصل الخامس: للمتغيرات السياسية في اليمن، والموقف السعودي منها، إبتداءً من منتصف عام ١٩٦٦ وحتى عام ١٩٦٧، حيث تناول محاور هامة،منها دور العلاقات المصرية اليمنية وإنعكاس حرب يونيو ١٩٦٧ على الأزمة اليمنية، وما ترتب على ذلك من اتفاقية "الخرطوم" وتبع ذلك الإنسحاب المصري من اليمن والإنقلاب الذي أطاح بالسلال في نوفمبر ١٩٦٧.

وتناول الفصل السادس: دور المملكة العربية السعودية في حصار صنعاء، وما تبع ذلك من تصفيات لقوى اليسار والقوميين العرب، بعد حركة اغسطس ١٩٦٨.

أما الفصل السابع والأخير .. الذي تناول سياسة التسوية بين فرقاء النزاع في اليمن في الفترة من ١٩٦٩ وحتى عام ١٩٧٠ .. فقد رسم هذا الفصل الصورة الأخيرة للدور السعودي في اليمن شماله وجنوبه والتطورات السياسية التي تبعت مرحلة "التطبيع بين المملكة السعودية والجمهورية العربية اليمنية.

أخيراً: فقد اختتم البحث بخاتمة، وهى خلاصة ما توصل إليه الباحث في بحثه هذا وإذا كان هذا البحث قد أضاف جديداً للمكتبة العربية. فذلك يعود بالفضل للعالم الجليل الأستاذ الدكتور/عبد الخالق محمد لاشين، الذي غمر الباحث بملاحظاته العلمية القيمة..

والله ولي التوفيق

عبد الوهاب آدم العقاب

obeikandl.com

تمهيد

الجذور التاريخية للعلاقات اليمنية السعودية

تعود أهمية شبة الجزيرة العربية إلى موقعها الجغرافي المميز. وعلاقة اليمن بشبه الجزيرة العربية ليست وليدة الواقع المعاصر .. ولكنها استمرار تاريخي يرجع إلى عصر ما قبل الإسلام.

كانت رحلة قريش إلى اليمن شتاء وإلى الشام صيفاً .. هذه الخاصية الاقتصادية استمرت حتى عهد الفتوحات الإسلامية عندما ساهمت القبائل اليمنية بدور فعال في الفتوحات الإسلامية.

وفي عهد الاحتلال الأوروبي لمعظم الدول العربية رزحت اليمن عقوداً من السنين تحت الهيمنة الإنجليزية في الشطر الجنوبي من اليمن والسيطرة العثمانية في الشطر الشمالي منه.

وبموجب هدنة "مندروس" في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م، وكانت استسلاماً بغير شروط والتي عقدت بين تركيا، وإنجلترا، فرض على تركيا الانسحاب من شبه الجزيرة العربية[1]. فتسلم الإمام يحيى، السلطة في الشطر الشمالي من اليمن من قبل الأتراك وكان الجزء الجنوبي من اليمن تحت الاحتلال الإنجليزي. كما كان إقليم عسير تحت نفوذ الأدارسة، وكان على الإمام يحيى أن يناضل من أجل توحيد الأراضي اليمنية.

وفي نجد تكونت الدولة السعودية بزعامة مؤسس المملكة "عبدالعزيز آل سعود" الذي عمل هو الآخر على توسيع رقعته، بدءاً بالزحف نحو مكة المكرمة،

---

1 انظر: وثيقة "مندريس" التي عقدت بين إنجلترا وتركيا في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ (عدنان التريسي: بلاد سبأ وحضارة العرب الأولى) بيروت، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٩٠.

والمدينة المنورة، وإزاحة الشريف حسين. ثم كان عليه أن يزحف جنوباً لاحتلال عسير. وبالتالي أحتلت المملكة العربية السعودية موقعاً استراتيجياً مهماً.

فالسياسة السعودية التوسعية ارتكزت على أطروحتين ـ على حد تعبير أحد الكتاب[1] ـ حيث أنها بحكم موقعها الديني، وقبول موقفها من الرسالة الإسلامية التي من خلالها وحدت شبه الجزيرة العربية ومنحت نفسها الحق في مهاجمة أي جزء من شبه الجزيرة العربية والإقامة فيه بشكل نهائي كذلك الخلافات في إطار الأسرة المالكة أو المعارضة الإصلاحية أو تدخل قوات من خارج شبه الجزيرة تبرر في فترة نهوض المملكة واقع أن ترافق هذا النهوض مع استعادة أي جزء من الأرض كانت القوات الوهابية قد أخضعته في فترات توسعها الماضي[2]. على اعتقاد أن هذا المنطلق التوسعي قد يحظى بالقبول لدى التيار القومي الذي يؤمن إيماناً مطلقاً بأن الحدود العربية بعضها ببعض مصطنعة، والتيار الديني الذي لا يقبل وجود الحدود بين الدول العربية والإسلامية لأنها أحد عوائق الوحدة الإسلامية.

لا يوجد للنظام السياسي السعودي "دستور مكتوب" ينظم ويشرف على التشريعات القانونية فدستورها ـ نظرياً هو كتاب الله وسنة رسوله – جرياً على عادة التقليد الإسلامي وهكذا فالحكومة تقوم بأداء أعمالها على ضوء الشريعة الإسلامية. والملك يشغل منصباً مزدوجاً كقائد سياسي وديني، ويدير الدولة من خلال البلاط الملكي مجلس الوزراء وأمراء المناطق المحلية العامة، وشيوخ القبائل .. ويعتبر الملك المصدر الأعلى لكل من المجلس التنفيذي والتشريعي[3]. والسلطة القانونية في السعودية، هي هيئة مستقلة. وهذا التحول بدأ منذ منتصف الخمسينات

---

1 غسان سلامة: السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ بيروت، مؤسسة الريحاني للطباعة والنشر، ط١،١٩٨٠ "معهد الإنماء العربي ص ٤٩٥.

2 نفس المرجع: ص ٤٩٥.

3 مجد التريب: العلاقات الإمريكية السعودية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٤، ص ٣٣: ويعتبر مجلس الوزراء مسؤولاً عن رسم الميزانية وبعض أمور الحكومة الأخرى، مثل الإشراف على حكومات المناطق والحكومات المحلية وهو السلطة العليا تحت إشراف الملك.

فالقضاة يحكمون بمبدأ تطبيق العدالة الإسلامية وفق النصوص التشريعية ويمكن أن يكون عن طريق العادات والتقاليد العربية القبلية"[1].

يقابل هذا المفهوم في الحكم النظام السياسي للإمام يحيى مؤسس الدولة اليمنية عام (١٩٠٤ – ١٩٤٨) إذا لم يكن الإمام يحيى متواطئاً في وحدة الدولة وقد عمل جاهداً على توسيع نفوذه من الداخل وعانى كثيراً في مواجهة الخارجين عن سلطته، ولم يكن حكيماً في اتجاهه نحو تغليب المفهوم المذهبي الزيدي (الهادوي) في نظام حكمه، كما اتجه إلى نظام إداري على نمط القرن العاشر الميلادي.

لم يحتفظ الإمام بأسلوب النظام الإداري والقضائي الذي خلفه الأتراك، أو بمجالس الشورى، وكانت هذه المجالس تضم الأعيان والوجهاء، فقد كون الأتراك مجالس إدارية في النزع الأخير من عهدهم. وكانت من نواب مختارين لإبداء آرائهم ورغباتهم لدى الحكومة التركية. وفي العاصمة صنعاء سمي مجلس الإدارة بمجلس العموم وبرئاسة الوالي التركي. وينوب عنه عضو من أعضاء المجلس من اليمنيين[2].

وعمل الإمام يحيى على تغيير هذا النظام ... وأتخذ لنفسه نظاماً مغايراً لمقتضيات الواقع الجديد. كما اتخذ من نظام الرهائن ركيزة أساسية لاستقرار سلطته. فعند وفاته كان يحتفظ بأربعة آلاف رهينة[3]. حيث عم نظام الرهائن

---

1 نفس المرجع: ص ٣٤: نقلاً عن "سفارة المملكة العربية السعودية، الأمير فيصل يتحدث، واشنطن دي ي، عام ١٩٦٢م".

2 سعيد أحمد الجناحي: الحركة الوطنية اليمنية من الثورة إلى الوحدة، دمشق، مطبعة الكاتب العربي، ط١، ١٩٩٢، ص ٥٢: ويضيف المؤلف: "لقد أسس الأتراك إدارة المعارف، ودار المعلمين، ومدرسة الصنائع في صنعاء، ومدرسة الصناعة في الحديدة التي تدهورت بعد رحيلهم، ومدرسة لتعليم اللغات، والكيمياء والحساب. وألغى الإمام مدرسة الصنائع في صنعاء، واكتفى باعتماد تدريس العلوم الدينية واللغوية، وظل التعليم على الكتاتيب، والمساجد وإنشاء مدرسة الأيتام، والمدرسة العلمية لتخريج القضاة ... ص ٥٢.

3 إدجار أوبلانس: اليمن الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠، ترجمة: عبدالخالق محمد لاشين، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٢، ١٩٩٠، ص ٥٦.

بهدف قمع حركات المعارضة من القبائل، وخاصة قبائل المناطق الشافعية .. على المشايخ أن يبعثوا أبناءهم رهائن لإظهار الولاء والطاعة، وكانت السجون هي المقر الطبيعي للرهائن ويعيشون على نفقة قبائلهم[1].

واليمن بموقعها الاستراتيجي تحتل رقعة جغرافية هامة في جنوب شبه الجزيرة العربية وتتحكم في مدخل البحر الأحمر كما تهيمن على المنفذ الجنوبي للبحر الأحمر من باب المندب وتطل على المحيط الهندي من عدن، وتلاصق أفريقيا من جهة الصومال. "وبهذا احتلت اليمن موقعاً جغرافياً مميزاً على طريق الملاحة العالمية منذ أقدم العصور[2]".

وفي نطاق شبة الجزيرة العربية تأتي اليمن في المرتبة الأولى من حيث الكثافة السكانية، وفي المرتبة الثانية من حيث المساحة الجغرافية .. وتعتبر المملكة السعودية ثالث دولة عربية من حيث اتساع رقعتها الجغرافية وامتداد أقاليمها، وتوفر عمقاً استراتيجياً من حيث القدرة على الحركة وتعبئة الموارد وتوزيع المرافق وغيرها[3] وللسعودية بعُد استراتيجي هام، فهي تطل من الشرق على الخليج العربي،

---

1 إيلينا جولوبوفسكايا ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن، ترجمة: محمد قائد طربوش، بيروت، دار خلدون، ١٩٨٠، ص ١٤: انظر أيضاً:
Wenner M. W.: Modern Yemen 1918 - 1966. Baltimore 1967.P.7
انظر كذلك: محمد سعيد العطار: التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، الجزائر، المطبوعات الوطنية الجزائر، ط١، ١٩٦٥، ص ٧٨.
والملاحظ: أن اليمن عاشت تحت حكم الإمام يحيى، الذي فرض التخلف عن علم لا عن جهل.. لقد كان الإمام يحيى شاعراً وأديباً ومثقفاً، ورجل فقه، وبالتالي فقد بنى فرضية البقاء على إحلال الجهل والتخلف ويذكر أمين الريحاني: في كتابه: ملوك العرب، بيروت، دار الجيل، ص١٣٥: أنه عندما قابل الإمام يحيى قال: " كان الحديث بعد ذلك في السياسة الأوربية، أدهشني منه ما يعلم وما يهتم به من أخبار العالم".

2 عيد مسعود الجهني: الحدود والعلاقات السعودية اليمنية، السعودية، مطابع الجمعية الإلكترونية، دار المعارف السعودية، ١٩٤٤، ص ٥٣: انظر: محمود أبو العلا: جغرافيا شبه جزيرة العرب، ج ٣ و٤، مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٢، ص ١٧ – ص ١٨.

3 عبدالله القباع: الاستراتيجية الدولية وقضايا الأمن في المملكة العربية السعودية، الرياض،

وتقع على شواطئها ثروة نفطية كبيرة، وأهمية الخليج العربي الاستراتيجية تنبع من كونه واحداً من أهم المنافذ المائية في منطقة الشرق الأوسط، الممتدة بين القارات الثلاث (آسيا، أوروبا، وإفريقيا)[1].

ويعد البحر الأحمر ممراً بحرياً عالمياً، فهو يوفر لقوى إقليمية ودولية إمكانات الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلسي، والمحيط الهندي، كما يتحكم البحر الأحمر في مخارج ومداخل البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج العربي، "فأي تحرك في البحر المتوسط ينتهي إلى البحر الأحمر عن طريق قناة السويس، كما أن أي تحرك في الخليج العربي ينتهي إلى البحر الأحمر عن طريق مضيق هرمز - خليج عُمان - المحيط الهندي - خليج عدن - باب المندب[2]".

والبحر الأحمر ممر هام للمنتجات الصناعية الغربية التي يتم تبادلها مقابل المواد الأولية الآتية من العالم الثالث، فالسلعة التصديرية الرئيسية وهي النفط تشكل ٧٠٪ - ١٠٠٪ من صادرات الأقطار المنتجة للبترول كالسعودية ودول الخليج العربي[3]. وكذلك وجود معادن في البحر الأحمر، ويزيد من أهمية هذا البحر جغرافياً وقومياً بالنسبة إلى الأقطار العربية المطلة عليه.

وهذه الخاصية التي منحت دول حوض البحر الأحمر امتيازات اقتصادية واستراتيجية سياسية من خلال منفذ البحر الأحمر "باب المندب" وكان العرب المحيطون ببوابة البحر الأحمر يمثلون قوة دفاع ضد الغزو القادم إليهم.

مطابع الفرزدق، ط٢، ١٩٩٠، ص ٣٦٢.

1 عيد سعود الجهني: مرجع سابق، ص١٣.

2 أمين هويدي: أحاديث في الأمن القومي العربي، دار الوحدة، ١٩٨٠، ص ٣٠.

3 توفيق محمود: البحر الأحمر في الاستراتيجية الدولية: مجلة السياسة الدولية، السنة ١٥، عدد (٧٥)، يوليو ١٩٧٩، ص ٢٧ – ص ٣٧.

ومضيق باب المندب عبارة عن ممر بحري يفصل بين جزئين من اليابسة ويصل بين مسطحين من المياه[1]. ويبلغ اتساعه نحو (٢٣,٢ كم)[2]. فيما بين رأس باب المندب شرقاً ورأس سيعان **Siana** غرباً.

وتقسم جزيرة (بريم) المضيق إلى ممرين أحدهما شرقي والآخر غربي، فالمنطقة التي تتبع مباشرة مضيق باب المندب، سواء تجاه الشمال أو الجنوب تتميز بأن اليابس يبدأ فيها عملية التحول من حالة الانفراج إلى حالة الاقتراب والضغط بقوة على مياه البحر الأحمر إلى حد الاختناق المتمثل في مضيق باب المندب[3]. ويشترك ميناء جيبوتي مع ميناء عدن في التحكم في المضيق.

وعلى بعُد (٢٦٥ كم) شمال مضيق باب المندب تنتشر جزر بكثافة عالية في القطاع البحري الممتد من جيزان على الساحل السعودي، ومصوع على الساحل الأرتيري، وهي: فرسان، ودهلك، والطير، قمران، والزبير.

والبحر الأحمر يكاد يخلو من الجانب الشمالي من الجزر الاعتراضية باستثناء خليجي العقبة والسويس وهذه الجزر تمثل (البوابة الشمالية) لمضيق باب المندب، فمن استطاع أن يسيطر على هذه الجزر يمكنه من السيطرة على البوابة فإنه يستطيع أن يتحكم في مضيق باب المندب ويسيطر عليه[4].

ولذلك كانت بريطانيا حريصة على احتلال (عدن) في ١٩ يناير ١٨٣٩م[5] كون البحر الأحمر يمثل بموقعه صفة أقصر وأسرع طريق بين الشرق والغرب،

---

1 محمود توفيق محمود: المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، دراسة في الجغرافيا والجيوبوليتكس، الرياض، دار المريخ للنشر، ط٣، ١٩٨٣، ص ١٠.

2 Red Sea and Gulf of Aden Pilot Eleventhed 1967. P. 140.

3 نفس المرجع: ص ١٤.

4 محمود توفيق محمود: مرجع سابق، ص ١٨.

5 شاكر الجوهري: الصراع في عدن، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٢، ص ١٨؛ ويبدو ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها السيرروبرت جرانت (حاكم بومباي) البريطاني إلى رئيس مجلس إدارة شركة الهند الشرقية في لندن في ١٨٣٨/٢/٢٧م أي قبل عام من احتلال عدن تقريباً، حيث جاء فيها: ".. إن أهمية عدن بالنسبة لنا لا تقدر بثمن إذا أنه يمكن استخدامها كمخزن

وبين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط. ويتميز بموقعه الوسيط بين أكبر مناطق إنتاج البترول في العالم وبين أكبر مناطق استهلاك البترول في العالم.

مما سبق يمكن القول إن العلاقات بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها تحكمها قواسم مشتركة جغرافية منها واجتماعية .. وتعد ظاهرة القبيلة أحد هذه القواسم وتختلف بشكل أو بآخر بين مناطق الحكم في شبه الجزيرة العربية. حيث النظام القبلي والعصبية القبلية في اليمن واضحة. بينما تختفي هذه الصورة في السعودية ودول الخليج على الرغم من أن حكام شبة الجزيرة العربية ينتمون إلى قبائل.

فآل سعود، ينحدرون من عشيرة "مقرن" من عنزة من شيبان، ومؤسس سلالة آل سعود، هو (محمد بن سعود ١١٧٩هـ /١٧٦٥م) خلف أباه في إمارة الدرعية، وساعد محمد بن عبدالوهاب في نشر مذهبه[1].

أما اليمن فقد حكمها قبل الثورة اليمنية ١٩٦٢، أئمة من آل هاشم، عدنانيون قريشيون، جاؤوا إلى اليمن من الحجاز بدعوة من القبائل المتصارعة ليحكموا بينهم بالعدل منذ عام ٨٩٧م عندما خرج الإمام الهادي إلى اليمن. وأصبحت القبائل الشمالية في اليمن تهتدي بهدي الأئمة، ولم تطمح للوصول إلى السلطة إلا بعد قيام

ومحطة لتموين السفن التجارية التي تعبر طريق البحر الأحمر فضلاً عن أنها قاعدة عسكرية قوية بحيث يمكن بالسيطرة عليها أن نحمي ونستفيد من كل تجارة البحر الأحمر والخليج العربي والساحل المصري والمواجه والغني بمنتجاته. وإذا ما أصبحت عدن ملكاً لنا فإنها كجبل طارق بحصانتها ومنعتها من البر ومن البحر على السواء.."

انظر: محمد علي الشهاري: المسار التاريخي للثورة اليمنية، عدن، دار الهمداني للنشر والطباعة، ١٩٨٣، ص٩٩ ويلاحظ الباحث (الشهاري). أنه باحتلال عدن لم تتمكن الدولة العثمانية استرجاعها من أيدي الإنجليز بعد أن استرجعت اليمن الشمالي عام ١٨٤٩. وأصبحت مدينة عدن والمناطق الخلفية لها. والجزر المواجهة لسواحلها في البحر العربي مستعمرة بريطانية، وكانت المناطق الداخلية الممتدة حتى حضرموت تمثل محميات إنجليزية يتمتع بها سلاطين محليون بالنفوذ الداخلي.

1 المنجد في اللغة والإعلام: بيروت، دار المشرق، ط ٢٥، ١٩٨٦، ص٣٥٥.

الثورة عام ١٩٦٢م واستطاعت قبيلتا حاشد وبكيل أن تحوزا أكبر قدر من النفوذ في الدولة.

يتكون المجتمع اليمني من عدة قبائل تشكل ما يقارب ٨٠٪ ـ ٨٥٪ من مجموع السكان منها تقطن الجبال ما يقارب (١٤٠ قبيلة)[1]. وما يقارب من (٢٧ قبيلة في المناطق الساحلية وتهامة)[2].

وتنقسم القبائل اليمنية إلى زيدية وشافعية، ولكل قبيلة منطقة جغرافية محددة، غير متناسقة مع التقسيم الإداري. ولها عادات وأعراف، كما تختلف لهجاتها .. والعلاقات والروابط الاجتماعية بين القبائل الزيدية بوجه خاص تستند إلى العصبية القبلية. القائمة على وحدة الدم والنسب فأبناء القبيلة يرون أنفسهم أقرباء لبعضهم البعض أو أنهم ينحدرون من أب واحد[3].

عندما استقرت سلطة الإمام يحيى حميد الدين في مطلع الثلاثينات من هذا القرن حاول إرغام القبائل على الخضوع للسلطة المركزية، وأصبح منصب الشيخ يصادق عليه من قبل الإمام. وقاومت القبائل سياسة الإمام هذه. وكان الشيخ في القبيلة الزيدية ـ قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ـ إقطاعياً وله سلطة غير محدودة. وغالباً ما كانت في يده جميع وظائف الحكم المحلي. فقد كان يوكل إليه جباية الضرائب ومهمة التجنيد للجيش ومهمات القضاء. وللشيخ حق حل الخلافات التي تنشأ في مناطق القبيلة. فهو إلى جانب ذلك ذو وجاهة عليا. يخضع له كل أعضاء القبيلة[4]. وطوال حكم ما قبل الثورة اليمنية تطلع المشايخ لتوجهات انفصالية وتطلعات نحو الاستقلال السياسي في الوسط المشايخي القبلي[5].

---

1 إيلينا جولوبوفسكايا: ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن. مرجع سابق، ص١٠٢.

2 نفس المرجع: ص ١٠٧، انظر محمد محسن الظاهري: الدور السياسي للقبيلة في اليمن ١٩٦٢ – ١٩٩٠ القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٦، ص٦٧.

3 إيلينا: نفس المرجع السابق، ص١٠٢.

4 نفس المرجع: ص ١٠٢ – ص١٠٣.

5 نفس المرجع: ص١٠٣.

أما القبائل الشافعية فإنها بعد أن سلمت أمرها للإمام يحيى ومن بعده أحمد، أصبحت سلطة الشيخ مقيدة من قبل الموظفين. ونادراً ما كان الإمام يحيى يعين حكاماً من الشوافع للمناطق الشافعية[1].

وكان هذا التعيين انعكاساً للصراعات المذهبية الطائفية، وخضوع مشايخ المناطق الشافعية للمذهب الزيدي الحاكم.

وللقبائل الزيدية أعراف أشبه (بالقوانين) تحتكم إليها. حافظت عليها بصرامة. ومن ذلك يتضح أن أحكام الشريعة الإسلامية لم تطبق في مناطق القبائل الزيدية، حيث استمروا على النظم التي تعارفوا عليها منذ زمن بعيد .. وكان لهذه الأعراف دور في حل المسائل المتعلقة بتقسيم مصادر مياه المراعي والنظر في المشاجرات الشخصية وقضايا الديون. وحسب هذه القواعد يقوم الشيخ بدور القاضي.

وترفض القبائل الاحتكام للسلطة المركزية، فلم يستطع الإمام يحيى أن يثنيهم عن أعرافهم حيث حاول أن يجعل من شيخ القبيلة أن يقضي بين الناس وفق الشريعة الإسلامية. ولكنه أخفق في منتصف الثلاثينات في إقامة نظام قانوني واحد. فاعترف بوجود نظامين قانونيين في مملكته: حكومي (الشريعة الإسلامية) ومحلي - في إطار القبائل الزيدية فقط - (العرف القبلي)[2]. ولم تتغير الأعراف بعد الثورة اليمنية، حيث مازالت تفرض نفسها وتكون بعداً انفصالياً حتى اليوم على الرغم من سيطرة القبيلة على السلطة.

ويقوم نظام القبيلة على المشيخة، والشيخ هو أعلى رأس القبيلة، وأعرافها هي القاعدة التشريعية للقبيلة والتي تم الاتفاق عليها من قبل القبيلة[3]. ويرى حمزة لقمان[4]، أن المجتمع القبلي يتكون من مجتمعات صغيرة تربط بينها علاقات

---

1 نفس المرجع: ص١٠٤.

2 نقلاً عن إيليا ص١٠٥: Indo. Arab World Bombay - 1959. T, 4 N 14

3 انظر أيضاً: Peterson, J. E. Yemen the search for a Modern State Croom Heln London and Canberra 1982, P21 .

4 تاريخ القبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة، ط ١٩٨٥، ص٩.

القرابة والمصاهرة، والعواطف هي التي تحكم أفراد القبيلة.

ومن خصائص القبيلة أنها تتصف بطباع حادة فهي منقسمة على نفسها ومتعصبة لبعضها البعض ويعود ذلك إلى التركيب الهرمي للقبيلة الذي يقف على قمته شيخ القبيلة، يليه السادة والقضاة والفقهاء، ثم الأعيان والأمناء، ورجال القبائل، ثم يليهم المزاينة، والدواشون، والمطبلون، والصناع، والجزارون، واليهود والأخدام[1].

ومسألة الخروج عن القبيلة تشبه الخيانة العظمى عند الدولة الحديثة حيث يترتب عليها إجراءات صارمة[2].

ويطغى على حياة القبائل الخوف والاضطراب، وينتشر القتل ويصبح الثأر من الظواهر المألوفة داخل القبيلة ومن التقاليد حمل السلاح فهم في الغالب يهجرون حقولهم ومواشيهم ورزقهم لحمل السلاح يوماً مع العدو ويوماً مع الحاكم كما عملت معظم هذه القبائل في الحرب الأهلية اليمنية بعد ١٩٦٢[3].

إن استمرار النظام القبلي، يعود إلى العامل السياسي الذي يتمثل في غياب الدولة المركزية[4]. وكانت ظاهرة الاستقواء القبلي تتمثل بقبيلتي حاشد وبكيل. أما المناطق التي ضعف فيها النظام القبلي فتشمل المناطق الجنوبية والوسطى والمناطق الغربية. لأنها تتميز بكثرة الأمطار والأودية ومجاري السيول ولذلك فإن هذه المناطق الغنية زراعياً أصبحت مركز جذب لجماعات وأفراد المناطق القبلية

---

1 عبدالكريم الخطيب: ظاهرة الاستقرار السياسي في الجمهورية العربية اليمنية ٧٠ – ١٩٨٣، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، المقدمة إلى جامعة القاهرة، (غير منشورة)، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ١٩٨٨، ص٣٧.

2 عبدالوهاب آدم: الخلفية التاريخية لدولة الوحدة اليمنية ١٩٧٢ – ١٩٩٣، رسالة ماجستير (١٩٩٤). جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية – قسم الدراسات التاريخية، ص٥٧.

3 عبدالكريم الخطيب: مرجع سابق، ص٤١.

4 قائد أحمد نعمان الشرجبي: أنماط العلاقات بين القرية والدولة في المجتمع اليمني. رسالة مقدمه لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة عين شمس/ ١٩٨٧، ص٢٠٢.

الشمالية الأقل خصوبة التي انتقلت للاستقرار فيها وتسمى بـ "النقائل"[1].

ولم تستطع القبائل الحميرية[2]، والمذحجية[3] الحفاظ على وحدتها الاجتماعية، كما هو الحال لقبائل حاشد وبكيل، وحالياً لأن مسألة التحول والتغيير كانت مألوفة نتيجة الوحدة القرابية.

وكانت الضرورة تقضي أحياناً بإقامة حلف بينها وبين القبائل المجاورة أو الدخول في حماية قبيلة أخرى أقوى منها[4]. أدى ذلك إلى نوع من التحول في الانتساب لبعض تلك القبائل والانتساب يكون على شكل جماعي أو فردي ويسمى في العرف القبلي "المؤاخاة"[5]. ويأتي هذا اللجوء عندما تستشعر هذه الجماعة أو الفرد عنصر الضعف وخاصة عندما تفتقد الروح القتالية وتخضع لسلطة الدولة. فقبائل "حاشد" لها قبائل أصلية وأخرى متحالفة معها هو نفس الوضع لقبائل بكيل.

وتلعب العصبيات القبلية دوراً كبيراً في الحياة السياسية القبلية. ومن الآثار السيئة المترتبة على السمات العصبية القبلية هو الثأر وانتشاره يعود إلى عدم مركزية الدولة وأهم مشكلة تواجه القبيلة هو "القتل" إذ يلجأ القاتل إلى القبيلة

---

1 نفس المرجع: ص٢٠٣.

2 قبائل حمير: سكنت الجزء الجنوبي من المرتفعات والهضاب الوسطى، وهي مناطق خصبة وتكثر فيها المياه الجوفية، والينابيع، وقد شكلت منطقة جذب للهجرة الداخلية: انظر: الظاهري: مرجع سابق ص ٦٨.

3 القبائل المذحجية: تتكون من قبائل (عنس ومراد والحدا) وغيرها من القبائل وقد احتلت المنطقة الشرقية المنحدرة إلى أطراف الربع الخالي. وتبدأ حدودها من بلاد البيضاء حاليا وتمتد باتجاه الشمال الشرقي إلى الجوف. انظر: رشاد العليمي: القضاء القبلي في المجتمع اليمني (مكان النشر بدون). دار الوادي للنشر والتوزيع، ص١٦.

4 فضل أبو غانم: مرجع سابق، ص٧٣.

5 عبدالوهاب آدم: مرجع سابق، ص ـ ٥٩: المؤاخاة: نظام قائم في المجتمع القبلي في كل من حاشد وبكيل فالفرد أو الجماعة في القبيلة في حالة الاعتداء أو الظلم يقوم باللجوء إلى قبيلة أخرى لغرض الحماية والوقوف إلى جانبه في تحمل التبعات.

الأخرى. ويصبح القاتل آمناً حيث لا يطبق علية أي حكم شرعي كالقصاص، بل يعرض على الأحكام العرفية وتفرض عليه الدية.

وإصرار الفرد داخل القبيلة على تملك السلاح الناري والأبيض (الخنجر ويسمى الجنبية) وحملهما معاً من مكملات الرجولة ونتيجة لذلك ينتشر النهب وقطع الطرقات، والتهريب والحروب القبلية. والاغتيالات والإقدام على القتل لأسباب تافهة وتشير بعض الدراسات إلى أن غياب الرادع الشرعي في تطبيق الحدود داخل القبيلة وحمل السلاح هما من الأسباب التي تجعل الفرد والجماعة يقومون بهذه الأعمال[1].

ونلاحظ أن النسب المستقل لكل قبيلة سمح للفرد المنتمي إليها بأن يفاخر بأمجاده بنوع من الاستعلاء فالإحساس بالاستواء والتفوق الاجتماعي، والحق السيادي والمتمركز داخل القبيلة المعنية في اليمن خلق في مخيلة أفرادها نرجسية عقدة الأنا مع إفراز نمط جديد من المفاهيم حول بطولة وشجاعة القبيلة هذه أو تلك[2].

وتختلف الصورة تماماً في المنطقة الشافعية بشمال اليمن وسهول تهامة الساحلية والمنطقة الجنوبية الممتدة من صنعاء إلى عدن. هذه المناطق خصبة بتربتها ووفرة مصادر المياه وبالتالي فإنتاجها الزراعي أكثر نسبياً والعوائق الجغرافية التي تحول دون التحكم المركزي أسهل من المناطق الزيدية. لقد كانت الشافعية أهدافاً مغرية للنفوذ الخارجي، منذ عصر الدولة الفاطمية في مصر، إلى عصر الدولة العثمانية، منذ القرن السادس عشر الميلادي وحتى العشرين الميلادي. وهي الفترة من (١٥٨٣ – ١٦٢٨) و (١٨٤٩ – ١٩١٨). والعثمانيون يتبعون المذهب السني[3].

إن خضوع القبائل الشافعية للدولة المركزية القوية كان له عدد من الآثار الاجتماعية فالدولة كانت تمثل تحدياً مؤثراً بالنسبة للاستقلال القبائلي. وعن

---

1 عبدالكريم الخطيب: مرجع سابق ص ٤٥. أنظر: محمد أحمد نعمان: الأطراف المعنية في اليمن، عدن، منشورات الصبان، ١٩٦٥، ص٧٩.

2 عبدالوهاب آدم: مرجع سابق، ص٦١.

3 جريجري جويس: العلاقات اليمنية السعودية بين الماضي والمستقبل: الأبنية الداخلية والمؤثرات الخارجية، ترجمة (سامية الشامي وطلعت غنيم) القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٣، ص٣٧.

طريق نظام الحكم المركزي المستقر، تم التغلب على التماسك القبلي وأصبحت الوحدة الرئيسية في النظام الاجتماعي هي القرية بدلاً من القبيلة. وقد شجع على تكوين اقتصاد يعتمد على نظام وفلاحة الأرض.

والجزيرة العربية عموماً ذات كثافة سكانية منخفضة بالقياس إلى مساحتها التي تبلغ مليون ميل مربع. مما يجعل الكثافة السكانية فيها ما بين (١٠ – ١١) شخصاً في الميل المربع الواحد[١]. وتحتل اليمن الدرجة الأولى من حيث عدد السكان. أما المملكة العربية السعودية، وهي من الدول الشديدة الثراء وتتمتع بموقع جغرافي ممتاز وعدد سكانها لا يمكن تحديده بصورة مطلقة لأن الحكومة السعودية تحتفظ في كشف إحصاء سري رسمي بتعداد السكان بها[٢].

ويختلف التوزيع السكاني في المملكة السعودية تبعاً للتوزيع الجغرافي، ومصادر الثروة الطبيعية، فالمناطق الجنوبية القريبة مزدحمة بالسكان أكثرها رطوبة وارتفاعاً. أما المناطق الصحراوية الجافة وصحراء النفوذ فهي من المناطق الأقل سكاناً، حيث تتشابه معها المناطق الشمالية من المملكة إضافة إلى الجزء الغربي من نجد[٣].

وتقتصر ظاهرة الهجرة في المملكة على هجرة داخلية محدودة لا تزيد على ٥٪ فقط من مجموع السكان ولا يظهر التمايز العرقي. ويتميز بدرجة عالية من التجانس والاختلاف في اللهجات بين المنطقة الغربية (المدينة المنورة، ومكة المكرمة، وجدة) والمنطقتين الوسطى والشرقية (الرياض، الدمام، والإحساء)[٤] وقد استطاعت المملكة السعودية أن تقطع شوطاً حضارياً كبيراً لا تدانيها أية دولة في المنطقة وتغيرت أنماط الحياة في المدن وبدأت تتزايد الهجرة إليها ويقل عدد البدو

---

1 فرد هوليداي: المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية (ترجمة: محمد الرميحي)، بيروت، دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٦، ص١.

2 جريجري جويس: مرجع سابق، ص١٦.

3 John Percival Oil Wealth in the M.E (Spending and Envestment) Finanicial time London 1973. P.5.

4 مجلة دراسات للخليج والجزيرة العربية، عدد أكتوبر ١٩٨١، العدد (٢٨)، السنة ٨، ص١٥٣.

الذين يعملون بالزراعة ورعي الأغنام، إضافة إلى العمالة الأجنبية الوافدة للعمل في حقل البناء والتعمير والصناعة.

وتتأثر العلاقات السعودية بعامل السكان من خلال الأيدي العاملة اليمنية الكبيرة إضافة إلى اليمنيين المقيمين في المملكة ويعمل اليمني في السعودية في قطاعات عديدة من قطاعات الاقتصاد والإنشاء والتعمير. فقبل الثورة اليمنية نزح عدد كبير من التجار والعاملين هرباً من ظلم واضطهاد حكم الأئمة والمشايخ. مما دفع عدداً كبيراً من الأيدي العاملة والتجار إلى الهجرة لجميع أنحاء العالم والغالبية منهم إلى المملكة السعودية، ويوجد في السعودية لفيف من التجار الكبار من أبناء حضرموت ويتمتعون بالجنسية السعودية. ولهم دور كبير في مشاركتهم في التنمية الصناعية[1].

ويمثل السكان بعداً أساسياً في العلاقات اليمنية السعودية، مع اختلاف في التركيبة القبلية في السعودية بحكم اتساعها، وقد استطاعت الحكومة السعودية أن تفرض نظاماً مركزياً صارماً ألغت الأعراف القبلية وفرضت الشريعة الإسلامية، وأقامت دولة قوية مما أذاب العصبيات القبلية وأعرافها، عكس جارتها اليمن والتي تعيش في غياب الدولة المركزية القوية رغم تمتعها بسمعة حضارية كبيرة. ويعود نجاح المملكة السعودية إلى عاملين: الأول عامل الثراء وفرض سياسة مركزية قوية. والعامل الثاني، غياب النزعة القبلية الاستعلائية والمذهبية الدينية.

وقد يكون للتباين الجغرافي أساس فعال، حيث أن المجتمع القبلي السعودي، مجتمع بدوي بسيط يعيش حياة متنقلة سهلة. عكس المجتمع القبلي في جنوب

---

1 لقد أبدى هؤلاء التجار اليمنيون تعاطفهم الكبير بميلاد الوحدة اليمنية لأنها أزاحت عن كاهل ذويهم في اليمن الجنوبي عبئاً كبيراً من أساليب القهر في عهد الانشطار فحاولوا أن يقوموا ببعض المشاريع الاستثمارية في مناطقهم التي نزحوا منها منذ عهد الاحتلال الإنجليزي وبعد جلائه.

الجزيرة، حيث المناخ المختلف والجبال الحصينة والبعيدة عن الدولة وبالتالي أصبح التعايش بين الدولة والقبائل قائماً على المصالحة وفقاً لأعراف القبيلة.

وفي المحيط الاقتصادي، كان سكان جنوب الجزيرة يزرعون الحبوب والنخيل حيث تتوفر الأمطار وكانت التجارة من اختصاص البدو الرحل، حيث يتم التبادل التجاري بين المنتجات والسلع الغذائية. وكانت السلعة الرئيسية التي تصدرها اليمن هي البخور حيث ينمو في جبالها الجنوبية وكان يصدر إلى الهند. وكان شمال اليمن يصدر كميات كبيرة من البن عبر ميناء المخا إلى أوروبا[1].

وخلال العصور الوسطى وحتى عام ١٩٦٢ عاش اليمن مرحلة ما قبل الرأسمالية، لأن البناء الاجتماعي تمحور حول الاقتصاد الزراعي، وكان في الأساس قائما على الاكتفاء الذاتي وكان تنظيم الإنتاج يقوم على القيمة الاستعمالية وليس على القيمة التبادلية. علاوة على ضعف وسائل الإنتاج.

وفي الجانب الصناعي ظلت الحرف تقليدية كما كانت خلال قرون طويلة. أما التجارة الداخلية فقد كان نشاطها محدوداً، وكانت المقايضة تلعب دوراً هاماً في التبادل. كما كانت التجارة الخارجية تمثل عنصراً هامشياً في الناتج الإجمالي للبلاد[2].

وشهد الاقتصاد اليمني منذ عام ١٩٦٠ تدهوراً واضحاً. ففي مجال الزراعة التي تعتمد عليها اليمن اعتماداً كلياً، تدهور الإنتاج وتحولت اليمن إلى مستورد للحاصلات الزراعية الغذائية، بعد أن ظلت قبل هذا التاريخ بلداً مصدراً لهذه الحاصلات[3].

وتوجد في اليمن ثلاثة أشكال لملكية الأرض الزراعية، وهي:-

---

1 خديجة أحمد الهيصمي: العلاقات اليمنية السعودية ١٩٦٢ – ١٩٨٠، القاهرة، دار المطبعة السلفية، ط١، ١٩٨٣، ص(٣٣-٣٤).

2 قائد الرجبي: مرجع سابق، ص٢١٠.

3 جان جاك بير: جزيرة العرب: ترجمة: نجدة هاجر، وسعيد الغز، بيروت، منشورات المكتبة التجارية للطباعة والنشر، ١٩٦٠، ص٧٩.

ملكية الدولة: وهي الأراضي الحكومية وتمثل نسبة ٢ – ٣٪ من جملة الأراضي الزراعية.

مكتب الأوقاف: وهي الأراضي التي وقفها للأعمال الخيرية وتدخل فيها المساجد وتمثل نسبة من ١٥ – ٢٠٪ من جملة الأراضي الزراعية.

الملكية الخاصة: وتمثل ما يتراوح من ٧٧ – ٨٣٪ من جملة الأراضي الزراعية[1] الصالحة التي تقدر بـ ٢ مليون فدان، ويقوم المعدمون باستئجار الأراضي من الأغنياء ويسمى "شريك" ويقسم المحصول بين المالك والمستأجر وتتعرض الزراعة إلى النقص في اليد العاملة مما كان له تأثير في تغيير نوعية المحاصيل المزروعة، كما أن التحويلات المالية عملت على التغيير بشكل متدرج لمتطلبات المستهلك، ونتج عن ذلك ارتفاع سريع في أسعار بعض المحاصيل، ومن غير المفاجئ أن يتجاوب المزارعون مع الأسعار[2].

إن المناطق الجبلية المأهولة بالسكان يزرع فيها الشعير والقمح والبن اليمني، كما يزرع فيها "القات"، وفي المنطقة الشرقية حيث المناخ القاري ونظام السقي فيها ضعيف التطور ويشتغل سكانها بالإنتاج الزراعي ورعي المواشي. وقد تصل الأراضي الصالحة للزراعة إلى ستة ملايين فدان[3]. حسب إحصائيات ١٩٦٠م من خلال سجلات الزكاة.

لقد بقي أسلوب الزراعة كما كان في العصور القديمة أي بأدوات الإنتاج البدائية: كالمحراث والمنجل، والعصا الطويلة ... واستعمال السماد العضوي.

وخبرة اليمنيين في الزراعة منحها بما عرفت بالمدرجات الزراعية في المناطق الجبلية. وتتميز زراعة هذه المدرجات بعدم وجود ري اصطناعي .. ففي سفوحها تزرع

---

1 عبدالوهاب آدم: مرجع سابق، ص٦٨: انظر: عبدالكريم الخطيب: مرجع سابق، ص٥٧.

2 John. M. cohen: Emerging Rural Patterns in the Yemen Arab republic results community cross sectional study cornell university rural development –of 021 participation Match, 1983.

3 إيلينا جولوبوفسكايا: ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن، مرجع سابق، ص٤٥.

الفواكه كالعنب، كما توجد حقول البن ومزارع القات، والمحاصيل الزراعية الأساسية هي الحبوب والفواكه، وأنواع الحبوب هي الذرة والقمح والدخن والغَرب، والذرة الشامية، والأرز وغيرها. وجميعها تستعمل لسد حاجات البلد الداخلية[1]. وتعتبر الذرة بأنواعها المختلفة (البيضاء والصفراء، والسمراء الداكنة والبرتقالي) الغذاء الأساسي للسكان .. وتزرع ٩٠٪ من الأراضي بالذرة. وكان اليمن يصدر إلى السعودية ودول الجوار الأخرى ما لا يقل عن ٩ — ١٠ آلاف طن من الذرة، وفي سنوات المحاصيل الجيدة، في فترة (الأربعينات وحتى نهاية الخمسينات). كما يزرع القمح والشعير في الهضاب الجبلية، وتزرع الذرة الشامية في الهضاب الوسطى ومحصولها أكثر من محصول القمح[2].

ومن المحاصيل الثانوية، البن، القطن، القات، ويأتي البن في المقدمة من حيث التصدير. لقد رافق انخفاض الأراضي الزراعية المزروعة بالبن، اتساع رقعة الأراضي المزروعة بالقات، الذي زاحم زراعة الحبوب والبن. كما يزرع القطن بكميات كبيرة. وأصبح من المواد الخام للحرفيين المحليين. وظهرت مزارع القطن في عام ١٩٢٧ في تهامة[3].

واشتغل السكان بالرعي إضافة إلى زراعة الأرض. كما توجد في ضواحي مدن تهامة والجبال خلايا النحل، ويستعمل العسل للاستهلاك المحلي، وكان يصدر منه إلى عدن في فترة الخمسينات من هذا القرن.

ومتوسط استخراج السمك سنوياً وصل عام ١٩٦٠ إلى أربعة آلاف طن. أما الدجاج فهي الأخرى تحتل مكاناً كبيراً في اقتصاد فلاحي تهامة على وجه الخصوص[4].

---

1 نفس المرجع ص(٤٦–٤٨).

2 نفس المرجع: ص٤٨ جداول صادرات وواردات اليمن في وثائق كتاب تأليف: فلادلين جوساروف وأدهم. م سيف: اقتصاد الجمهورية العربية اليمنية: ترجمة (أحمد سلكان)، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمن، ط١، ١٩٨٨.

3 إيلينا: مرجع سابق: ص٥٠.

4 نفس المرجع السابق: ص٥٣.

لقد ورثت الحرف المدنية اقتصاد مدن القرون الوسطى. ومن أهمها صياغة المجوهرات وصناعة (الجنابي). وتعتبر صنعاء مركزاً للإنتاج الحرفي. وقال عنها(**Ingrams**) .. إن صنعاء تذكر بالصناعة البدائية، مثل دقات الحدادين بالمطارق، وأصوات مناشير النجارة. وللحرفيين محلات متخصصة صغيرة، ولا يوجد وقت للراحة بالنسبة لهم، ويمكن مشاهدة صناع المجوهرات .. والحرفيين الذين يصنعون الخناجر، وأدوات أخرى كثيرة[1].

ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين بدأت الحرف المحلية بالتدهور نتيجة تدفق البضائع الأجنبية المستوردة. لقد كانت الورش المجهزة بالآلات اليدوية تنتج الأقمشة المحلية إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية. وتسد حاجات السوق الداخلية، كما كان يصدر منها كميات محدودة إلى حوض البحر الأحمر. أما صناعة المجوهرات فقد هبط مستواها الفني والتقني عام ١٩٥٠ بعد رحيل اليهود من اليمن إلى إسرائيل والذين كانوا متخصصين في الصناعات الحرفية.

ومع التوسع في زراعة القطن في مناطق تهامة، أنشأ الإمام أحمد عام ١٩٥٧ في مدينة باجل معملاً للغزل والنسيج بالاشتراك مع الرأسمال اللبناني السوري. وتم تجهيزه وبلغت قوة المعمل (٩ بليارد) وقوة كل منها (٢٤٨ مغزلاً) مع ٢ ديزل قوتهما (٧٥٠ قزج) إلا أن المعمل لم يشتغل نتيجة اختلاف الأسرة المالكة وكبار تجار التصدير واحتكارهم لكل التجارة الخارجية[2].

وبعد الحرب العالمية الثانية كان للمؤسسات الوطنية دور كبير من خلال مؤسسات الطواحين ومدابغ الجلود ومعامل المشروبات غير الكحولية والحلويات.

وفي مجال الكهرباء، فقد تم تأسيس شركات كهربائية في كل من صنعاء والحديدة وتعز في الثلاثينات من هذا القرن لإنتاج الطاقة الكهربائية بقوة متوسطة.

---

1 Ingams H. A. Journey in the Yemen, Journal of the Royal central Asian Society, 1964. vol.22, ptl. P.67. نقلاً عن إيلينا جولوبوفسكايا: مرجع سابق، ص٥٤.

2 نفس المرجع: ص٥٧.

ثم أنشأ الإمام أحمد، والرأسمال الوطني في كل من صنعاء وتعز شركات مساهمة.

وفي عام ١٩٦٠ اشترت شركة مساهمة في صنعاء، الآلات من شركة (سيفبوم) الإيطالية وفق اتفاقية تم عقدها مع هذه الشركة. وأخذت الشركة الإيطالية على عاتقها تدريب الكادر الذي سيعمل في تشغيل المحطات الكهربائية[1].

وتوجهت الدولة إلى الحكومات الأجنبية لطلب المساعدات والقروض الاقتصادية. وعقدت اتفاقيات عديدة مع الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية، وبموجب هذه الاتفاقيات، تم الاتفاق على إنشاء مصنع الغزل والنسيج في صنعاء (بـ ١٠ آلاف مغزل) ومصنع الزجاج في تعز، ومصنع الأسمنت في الحديدة ومجموعة أخرى من مصانع دباغة الجلود و السكر ومصنع للأسمنت، والسجائر، ومعمل للألمنيوم[2].

وقامت جمهورية الصين الشعبية ببناء مصنع الغزل والنسيج، وقام الاتحاد السوفييتي ببناء ميناء الحديدة والذي بدأ فيه منذ خريف ١٩٥٧، استطاع الميناء في ربيع ١٩٦١ استقبال ورسو البواخر من المحيطات التي تحمل عشرة آلاف طن وجهز الميناء بعدة آلات حديثة الصنع وجيدة التصميم[3].

وفي عام ١٩٥٠ أعلن المرسوم الإمامي الذي سمح بإنشاء شركة وطنية مساهمة لاستخراج الملح. وحصلت شركة آرامكو عام ١٩٥٠ على حق التنقيب والاستكشافات النفطية في مناطق اليمن[4].

وفي ديسمبر عام ١٩٥٥ أعطت حكومة الإمام أحمد الشركة الأمريكية (يمن ديفلوبمنت كريدش أف واستجين) حق المسح والتنقيب عن المعادن بما فيها النفط في

---

1 "National Bank of Egypt" Economic Bulletin Cairo 1962. T 15. N. 4. P. 225.

2 نشرة أخبار الوقائع الأجنبية، موسكو باللغة الروسية ١٢/٢/١٩٦٠م. نقلاً عن إيلينا جولويوفسكايا: مرجع سابق، ص ٥٩. والملاحظ "أن معظم هذه المشاريع بقيت حبرا على ورق".

3 إيلينا: مرجع سابق ص ٦٠.

4 Helfritz. H.: The Yemen. Asecret Journey. London 1958. PP 133–134.

نقلاً عن إيلينا جولوبوفسكايا: مرجع سابق، ص٣٠.

مساحة قدرها ١٠٣ آلاف كم٢ ومدة الاتفاقية (٣٠ عاماً) إلا أنه يمكن إعفاؤها من مهامها إذا لم تكن نتائج التنقيب والاستكشافات مرضية في خلال ٦ سنوات[١].

وفي عام ١٩٥٥ أرسلت الأمم المتحدة بعثة اشتغلت بالبحث عن الثروات الطبيعية في اليمن[٢].

وفي يناير ١٩٦١ حصلت شركة (أمريكن أفريكن انفستمنت كوربوريشن) الأمريكية على حق أعمال الحفر والتنقيب[٣]، وحتى منتصف العشرينات. كان نشاط التجارة الخارجية اليمنية يتم عبر "عدن" بشكل رئيسي. وبعد الانتهاء من بناء وتعميق ميناء الحديدة انخفض حجم البضائع عبر عدن[٤].

وفي عام ١٩٥٩ عقدت شركة هائل سعيد أنعم وشركاؤه اتفاقيات مع الاتحاد السوفييتي وبلغ نصيبها من الصفقات التجارية ٦٠٪ من مجمل أعمال الشركة. ومنح الإمام هذه الشركة عام ١٩٦٠م حق احتكار وتوزيع الصابون السوفييتي مدة ثلاث سنوات في اليمن. وحصلت هذه الشركة على وكالة للشركات الأمريكية والبريطانية في توزيع البضائع المستوردة كالنفط والإسمنت والكبريت والسكر[٥].

وفي بداية الستينات أنشأت شركات مساهمة بموجب المرسوم الصادر بتاريخ (١٠ أغسطس ١٩٦١) شركة المحروقات اليمنية بمساهمة الدولة اليمنية.. وفي عام ١٩٦٠ أسست في صنعاء شركة باصات وورش لتصنيع الباصات[٦].

---

1 النشرة الإخبارية للودائع الأجنبية، موسكو ١٩٥٦/٤/٥، عن إيلينا: مرجع سابق، ص٦٢.

2 Ronart St. and Ronart N. Conart Encyclopaedia of Arabs Civilization Amsterdam. 1959,p.57. نقلاً عن إيلينا: ص٦٢

3 Economic Reports (World trade information service). P.t I. N.2. New York, 1960. P.4.

4 محمد سعيد العطار: التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، مرجع سابق، ص٢٢.

انظر: Economic Reports (World trade information)

5 إيلينا جولويوفسكايا: مرجع سابق، ص١٣٧.

6 نفس المرجع: ص ١٣٨.

وفتحت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ آفاقاً واسعة أمام تعجيل التطور الاقتصادي في اليمن واستغلال ثرواتها الطبيعية. إلا أن الحرب الأهلية اليمنية التي استمرت ثماني سنوات أوقفت الكثير من المشاريع الاقتصادية الطموحة. وفي أكتوبر ١٩٦٢ أعلنت جمهورية اليمن أنها عازمة على إعادة بناء اقتصاد البلاد بصورة جذرية وفي نفس الشهر صادرت الثورة أملاك الأسرة المالكة المنقولة منها وغير المنقولة، وكذا الأسر المعادية للثورة، مثل أسرة (آل الهيج في تهامة، وغيرها) وشكلت لجان خاصة لحصر هذه الممتلكات. وفي الفترة من (٢٥ إلى ٢٧ من أكتوبر ١٩٦٢) أنعقد في اليمن الجمهوري المؤتمر الاقتصادي الأول وأهم نتائجه، خلق ظروف ملائمة لكي يلعب القطاع العام الدور القيادي في تطور الاقتصاد اليمني، وأقر المؤتمر إنشاء البنك اليمني للإنشاء والتعمير، كجهاز حكومي يمارس مهامه الرقابية على القطاع الخاص وساهمت الحكومة في رأس مال البنك بنسبة ٥١٪ بينما بلغت حصة رأس المال الخاص ٤٩٪[1].

وفي ٢٤ ديسمبر ١٩٦٢ أنشأت الحكومة اليمنية المجلس الاقتصادي الأعلى، ومن مهامه رسم السياسة الاقتصادية ومتابعة تنفيذ خطط التطور الاقتصادي، ثم أعلن الرئيس عبدالله السلال في يناير ١٩٦٣ عن خطة شاملة للتطور الاقتصادي اليمني.

وفي مجال النقل تم افتتاح الطريق المعبد الذي يربط (الحديدة، باجل، مناخة، صنعاء)، في يناير ١٩٦٣م بمسافة ٢٣١ كم، وقد بني هذا الطريق بمساعدة جمهورية الصين الشعبية. كما بدأ في يوليو ١٩٦١م شق طريق يصل بين (المخا ـ تعز ـ صنعاء)، وانتهي منه في سبتمبر ١٩٦٥م بمسافة إجمالية بلغت ٣٥٥ كم، مغطى بطبقة من الحصى. وقد أنشئ هذا الطريق بمساعدة وكالة التنمية الأمريكية وفقا لاتفاقية بين اليمن وأمريكا في التاسع من أبريل ١٩٦٠م[2].

---

1 فلادلين أ. جوساروف وأدهم. م. سيف الملوكوف: اقتصاد الجمهورية العربية اليمنية، مرجع سابق، ص ٤٢.

2 نفس المرجع السابق: ص٨٦.

وفي عام ١٩٦٥م بدأ العمل بشق طريق مسافة (٢٠٠ كم) يصل العاصمة بمدينة صعدة، بمساعده فنية من جمهورية الصين الشعبية. وفي عام ١٩٦٦م بدأ بإنشاء طريق يصل الحديدة بتعز، وتم الانتهاء منها عام ١٩٦٩م بموجب اتفاقية بين الاتحاد السوفييتي واليمن[1].

وفي مجال النقل الجوي كان لليمن قبل الثورة سبع طائرات و مروحيتان (هليكوبتر) ،منها ثلاث طائرات من نوع (داكوتا) تابعة لشركة الطيران اليمنية التي تم إنشاؤها عام ١٩٦١م. وتولت نقل البضائع على الخطوط الداخلية، وكذا إلى عدن بصورة دورية. وكان قبل الثورة اليمنية يوجد ثلاثة مطارات في كل من (الحديدة وتعز وصنعاء)، وتعمل بصورة دائمة[2].

هذا باختصار ما يخص النشاط الاقتصادي في اليمن. ويأتي الدورللنشاط الاقتصادي في المملكة العربية السعودية.

لقد كان اكتشاف البترول في المملكة السعودية بمثابة ثورة اقتصادية في الصحراء. وتعد السعودية من الناحية الاقتصادية أغنى دول المنطقة البترولية لتفوقها في الإنتاج النفطي[3].

لقد جاء اكتشاف البترول في السعودية بعد معاناة طويلة من الفقر المدقع. وكانت بريطانيا تمنح الملك عبدالعزيز راتباً شهرياً قدره (٥٠٠٠ جنيه إسترليني) منذ عام ١٩١٥ ، وكانت له علاقة مميزة مع بريطانيا. وقد منحته أسلحة وعتاداً حربياً لمواجهة القوات المتعاطفة أو المنحازة مع الدولة العثمانية، ومع ذلك لم يشترك مع الشريف حسين بالثورة ضد الأتراك عام ١٩١٦م بل بالعكس فقد خططت بريطانيا في تصفية مملكة الشريف حسين في مكة المكرمة والمدينة وجدة والطائف.

---

1 فلادين أ. جوساروف وأدهم. م. سيف الملوكوف (مرجع سابق، ص٨٨).

2 نفس المرجع: ص٩٣.

3 خديجة الهيصمي: مرجع سابق، ص٣٤.

في الثلاثينات تم اكتشاف حقل الدمام، وتلته اكتشافات أخرى، وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية تعطلت الخطط الصناعية وتدهورت الأوضاع الاقتصادية في السعودية وقامت بريطانيا بسرعة بنجدة ابن سعود عام ١٩٤١ وتبعهم الأمريكيون عام ١٩٤٣م.

وبعد الحرب العالمية الثانية استأنفت الشركات الأمريكية التنقيب النفطي، وفي عام ١٩٥٥م وصل الإنتاج النفطي إلى مليون برميل يومياً. وأصبحت السعودية واحدة من أكبر الدول المصدرة للنفط في العالم وأصبح يشكل ٩٨٪ من مواردها للتصدير، و٩٠٪ من الموارد الكلية[1].

ورغم الموارد المالية التي تجنيها السعودية إلا أنها ما زالت تصنف ضمن الدول المتخلفة، ومع آثار التحديث الاجتماعية إلا أنها لم تحقق القدر المطلوب رغم كل مظاهر التعمير والإنشاءات الضخمة وبرامج التعلم والمشروعات الاستثمارية التي تجري على قدم وساق، إلا أن الحكومة مازالت تعتمد اعتماداً كلياً على القوى العاملة الأجنبية ومعظم الخبراء العاملين في المملكة من دول غير عربية من أمريكا وأوروبا ومسيطرون على قطاعات حساسة مثل البترول والجيش. وفي نفس الوقت يقومون بخدمة أوطانهم من خلال شركاتهم[2].

وهكذا نلاحظ أن التفاوت الاقتصادي بين اليمن والسعودية خلق مصلحة ذات أبعاد مستقبلية فاليمن بحكم الخلل الإداري والهيمنة القبلية ظل تحت وطأة الحاجة الاقتصادية لتبقى المملكة السعودية هي الملجأ الوحيد لاستيعاب العمالة اليمنية غير

---

1 مجلة السياسة الدولية "توقعات المستقبل في العربية السعودية"، بقلم: ت. ماك هيل، العدد (٦٤) أبريل ١٩٨١، ص ٢٣٠. ".. وتشير معلومات: عبد العاطي محمد أحمد، الدبلوماسية السعودية في الخليج والجزيرة العربية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، أبريل ١٩٧٩، عدد (٣٥)، ص ٨. إلى أن ارتفاع أسعار النفط قفز بدخل المملكة السعودية السنوي من ٢.٤ مليار دولار عام ١٩٧٣م إلى ٣٢ مليار عام ١٩٧٦م، وبلغ الاحتياطي المالي في نفس العام حوالي ٥٣ مليار دولار. وتمتلك السعودية من الاحتياطي النفطي حوالي ربع احتياطي العالم.."

2 عبد العاطي محمد أحمد: مرجع سابق، ص ١١٧.

المؤهلة، والذين يقومون بالأعمال التي لم يقبلها غيرهم من القوى العاملة بالسعودية.. ويكون نجاح النفوذ السعودي في اليمن قائماً على درجة التبعية الاقتصادية للمملكة السعودية.

ويأتي البُعد الديني المذهبي كعامل مشترك آخر بين شمال الجزيرة وجنوبها. فقد كانت الجزيرة العربية مهد الإسلام[1]. وعندما انتشر خارج الجزيرة العربية، نشطت مذاهب قديمة، نمت جذورها، وتحدت المفاهيم الإسلامية هذا الاتجاه، في إطار تصحيح المسار الإسلامي. ونشط المجددون الإسلاميون في دعوة الناس إلى ترك البدع. وأفرط الناس في الجزيرة العربية في تقديس الأشخاص والتبرك بهم وطلب القربى من الله بزيارتهم، وسادت هذه البدع في المواسم الدينية، فجاءت الوهابية لمقاومة كل هذا وأحيت مذهب ابن تيمية[2].

والحركة الوهابية في نظر أهل السنة حركة إصلاحية استوحت منهجها الإصلاحي من الفكر الحنبلي وقد انتشرت الدعوة داخل الجزيرة العربية في القرن ١٨م وفرضت بقوة السلاح. وأصبح للحركة أتباع ينتشرون في كل بقاع العالم

---

1 ولد الإسلام في الجزيرة العربية، واتجه إلى خارجها لنشر الدعوة، وفي عهد الخلفاء الراشدين تدخلت عوامل سياسية كثيرة، ابتداء من بيعة السقيفة وانتهاء بمقتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث، وبدأ الصراع على السلطة بين علي بن أبي طالب، الخليفة الرابع وبين ورثة عثمان بن عفان (البيت الأموي)، وقتل علي بن أبى طالب، واستولى البيت الأموي على السلطة بزعامة (معاوية بن أبى سفيان). وتجمع أشياع علي وبنوه وكونوا جبهة معارضة لسياسة الدولة الأموية، وقتل الحسين بن علي بن أبى طالب – سبط الرسول الكريم – في معركة (كربلاء) بالعراق. وتلاحقت مواكب الشهداء من المعارضة، وأفرز الصراع اتجاهين لكل منهما نصير، الاتجاه الشيعي بفروعه المتعددة، والاتجاه السني بفروعه أيضاً.

2 محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، القاهرة دار الفكر العربي، ص ٢١٢، وينسب الفكر الوهابي إلى "محمد بن عبدالوهاب" المتوفى عام ١٧٨٧ والذي تأثر بأفكار ابن تيمية وتعمق فيها وأخرجها إلى حيز التطبيق إلا أنه وأتباعه تشددوا في دعوتهم ورتبوا أموراً لم يكن قد تعرض لها ابن تيمية..".

الإسلامي. وتعد سلاحاً أساسياً في يد السلطة الحاكمة ويسمي أتباع الوهابية أنفسهم بالموحدين، ويعتبرون أنفسهم المسلمين الحقيقيين[1].

والطوائف في الجزيرة العربية متعددة ومتباينة، ففي الجنوب والوسط يوجد أهل السنة الشافعيون والمالكيون و هم يقاومون بشدة الضغط الحنبلي الممثل بدعاة الإصلاح الوهابي، بالإضافة إلى الفرق السنية الأخرى المتنافرة.

وفي اليمن يوجد الفكر الشيعي الزيدي، والفكر السني الشافعي والإسماعيلي، كما يوجد خوارج وعبيديون في منطقة عمان وقرامطة في الإحساء[2].

واتسعت دولة آل سعود بسرعة في القرن ١٨م واستولت على مكة والمدينة، واستطاع إبراهيم باشا، أن يحقق انتصاراً ساحقاً ضدها في عام ١٨١٨م. وفي منتصف القرن ١٩م عادت القوة السعودية من جديد إلى الظهور في نجد، إلا أنها هزمت أمام قبيلة ابن الرشيد عام ١٨٩١م وبعد عشر سنوات عاد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، من الكويت. وأعد قوة "الإخوان" والذين جندهم من قبائل المطير وعتيبة، وحرب وعجمان[3].

وقاد عبد العزيز هذه القوة وفتح بها معظم الجزيرة العربية و وحدها بين عام ١٩١٢م إلى ١٩٢٥م. وتوجت انتصاراته على العثمانيين والرشيديين و الهاشميين، واليمنيين وشيعة الخليج، بتأسيس مملكة سعودية متحدة عام ١٩٣٢م. واعترض ابن سعود وخلفاؤه على الأساس القبلي للإخوان وحماسهم الأصلي، ولم يقدر على كبح جماحهم، وفي منتصف العشرينات من القرن العشرين، أعلن الوهابيون المنشقون عصيانهم لابن سعود وهاجموا المناطق الشمالية الواقعة تحت الانتداب

---

1 جان جاك بيربي: جزيرة العرب، ترجمة: نجدة هاجر وسعيد الغز، بيروت، منشورات المكتبة التجارية للطباعة والنشر، ١٩٦٠م، ص(٢٣-٢٤).

2 خديجة الهيصمي: مرجع سابق، ص٥١.

3 جيمس ب. بسكاتوري "دور الإسلام في التطور السياسي في السعودية" في الإسلام والتطور، تحرير: جون. ل اسبوريتو (سيراكيوس، ط١، جامعة سيراكيوس، ١٩٨٠)، ص١٢٥، نقلاً عن، ريتشارد هريرد كمجيان: الأصولية في العالم العربي (ترجمة: عبدالوارث سعيد) المنصورة، دار الوفاء للنشر، ط٣، ١٩٩٢ ص١٩٤.

البريطاني، وتمكن عبدالعزيز في موقعة "السبلة" عام ١٩٢٩م من هزيمتهم، وتشير المعلومات[1] أن الملك عبدالعزيز، تمكن من تصفية الإخوان بدعم وضغط من السلطات البريطانية وسلم البريطانيون من هرب منهم إلى الكويت إلى السلطات السعودية حتى لا يبقى لهم أي أثر.

وجاء سعود وتبعه فيصل الذي قام بعدة إصلاحات هامة أهمها إلغاء الرق، وأوجد مجموعات من قوانين تنظيم العمل والتأمين والتعدين والاستثمارات الخارجية[2].

وفي الستينات تحالف التيار الإسلامي مع الناصريين والبعثيين والتيار اليساري. وكان المسرح الرئيسي للمعارضة يحتله القوميون العرب الناصريون بقيادة الأمير "طلال" وهذا شل دور الإسلاميين وكانت حركة الإخوان الجديدة تحت قيادة الأمير "خالد بن مساعد بن عبدالعزيز وبعض أصدقائه". والتي تكونت في مطلع الستينات، وفي منتصف الستينيات شكلت تهديداً قوياً للملك فيصل لمعارضتها سياسته في التحديث المتزايد خاصة إدخال التلفاز.

وفي أغسطس ١٩٦٥م قتل الأمير خالد مع سعد بن هُليل وآخرين من الأتباع وبعد عشر سنوات اغتال فيصل بن مساعد الملك فيصل انتقاماً لموت أخيه الأكبر"خالد بن مساعد"[3].

في عام ١٩٢٥م أنشئت جمعية شعبية بزعامة محمد الحبشي واعتبرتها الحكومة غير قانونية. وبعد اكتشاف النفط في المنطقة الشرقية عمل أهلها في شركات النفط. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية تجمع العاملون وكونوا منظمة تطالب بحقوقهم، وتمثل ذلك في استيائهم من السلطة وكذلك من الجالية الأمريكية.

---

1 برهان غليون: المحنة العربية الدولة ضد الأمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٣م، ص٤٨.

2 ريتشارد هربردكمجيان: مرجع سابق، ص١٩٦.

3 ريتشارد هربردكمجيان: مرجع سابق، ص١٩٨؛ انظر: وليم ارتشينووولد: السعودية والإحياء الإسلامي، المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط (١٣) ٣/٨/١٩٨١م، ص٢٧٤.

وفي عام ١٩٤٨م خرج المواطنون في منطقة "القطيف" في مظاهرات واسعة النطاق بزعامة محمد بن حسين الهراج، مطالبين بالانفصال عن المملكة، وفي عام ١٩٤٩م تتبعت الحكومة العناصر المعارضة. وقد توفي في السجن الزعيم اليساري عبدالرؤوف الخنيزي[١]، وقد تم القضاء على هذه الحركة نهائياً عام ١٩٥٠م[٢].

مما سبق نلاحظ أن الفكر الوهابي داخل البنية السعودية، غرس بذور المغالاة، داخل المملكة السعودية وخارجها، مما ولد بالمقابل تطرفاً للجماعات الشيعية في المنطقة الشرقية.

وتكونت أحزاب سياسية سرية في مواجهه التيار الوهابي المستأثر بالسلطة، وانتقل هذا المد الوهابي إلى اليمن وكون بعداً سياسياً موالياً للدولة السعودية، مما جعل المناصرين للفكر الزيدي والمستأثرين بالسلطة باليمن أن يتجهوا لتأسيس سياسة المواجهة لهذا النمط الفكري.

وسكان اليمن كلهم يدينون بالإسلام عدا قلة قليلة من اليهود[٣]. وينقسم السكان في اليمن إلى (شيعة "زيدية"[٤]، وإسماعيلية[١]، وإلى سنة شافعية[٢]). وكانت

---

1 وثائق العربية السعودية: الإسلام في ثورة شعوب البحر المتوسط، ٢١ (باريس – أكتوبر – ديسمبر ١٩٨٢). (ف): نقلاً عن: ريتشارد هربردكمجيان: مرجع سابق، ص٢٠٤. انظر كذلك: صوت الطليعة/مارس ١٩٧٤، ص٦٦، ص٧٠.

2 ريتشارد هربردكمجيان: مرجع سابق، ص٢٠٥.

3 يهود اليمن توارثوا الفكر اليهودي منذ العهد القديم (ما قبل الميلاد)، ولكنهم أقلية. وقد جذبت عدن و مصر اللتان كانتا تحت الاحتلال البريطاني، أعداداً كبيرة من يهود اليمن، ويعيش اليوم منهم في منطقة صعدة. انظر باتساع لكتاب صموئيل تينجر: اليهود في البلدان الإسلامية (١٨٥٠ – ١٩٥٠) ترجمة جمال أحمد الرفاعي، مراجعة: رشاد عبدالله الشامي، عالم المعرفة (عدد ١٩٧)، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت. مايو / أيار ١٩٩٥ – ص(١٩–٢٩).

4 الزيدية تنسب إلى الإمام زيد بن علي (بن الحسين بن علي بن أبي طالب) ٨٠ – ١٢٢هـ (٦٩٩ – ٧٤٠م). دعا إلى ثورة في عهد هشام بن عبدالملك، وفشلت ثورته وقتل. وإليه ينسب المذهب الزيدي الشيعي.

اليمن تدين بالفكر السني حتى عام ٢٨٠هـ (٨٩٢م) عندما وفد إلى اليمن قادماً من الحجاز "يحيى بن الحسين بن القاسم" الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب، بدعوة من بعض القبائل الشمالية في جبال اليمن، وكان يقيم في جبل الرس شرق المدينة المنورة في الحجاز، وبايعوه بأن يكون إماماً لهم. ولقب بالإمام الهادي[٣]. وناصرته القبائل الموالية له، واستولى على صعدة وما حولها، وخضعت له نجران ثم برط، وبعد عامين استولى على صنعاء[٤]. وبه بدأ عهد سلطة الأئمة، تقوى حيناً ويصل نفوذها اليمن كله وتضعف حيناً آخر عندما يزاحمها أمراء المناطق الشافعية حتى تنحسر داخل مدينة "صعدة" إلا أنها استمرت حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م.

واتبع الأئمة المذهب الزيدي وكلهم من النسل العلوي، كان زيد إماماً من آل البيت بعد مقتل الحسين ابن علي. وكان عكس أخيه الإمام محمد الباقر الذي عكف في بيته على دراساته[٥].

---

1 الإسماعيلية تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (١٣٣هـ/ ٧٥٠م) وينتسب إليه الإسماعيليون القائلون بإمامته بعد أبيه. انظر باتساع في هذا الموضوع إلى أبي الفتح الشهر ستاني: موسوعة الملل والنحل، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط١، ١٩٨١ ص(٦٦–٨٥). انظر أيضاً إلى: أيمن فؤاد سيد تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري بالقاهرة. الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٨٨، ص(٩١–١٣٦).

2 الشافعية: نسبه إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠هـ) ولد في اليمن وخرج منها لطلب العلم ثم عاد قاضياً ونشر مذهبه.. انظر: محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، مرجع سابق، ص٤٢٥.

3 كان الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم عالماً موسوعياً مجتهداً، وكان يتبع مذهب علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وله مؤلفات ذات طابع مرجعي للفكر الزيدي في اليمن، ويطلق على التابعين لعلي تسمية الزيدية في اليمن باسم الفكر الزيدي الهادوي نسبة إلى اجتهادات الشهاري بن الحسيني.

4 أحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها، بيروت، منشورات المدينة، ط٢، ١٩٨٨م، ص ١٩٨: انظر: علي محمد زيد: معتزلة اليمن دولة الإمام الشهاري وفكره، بيروت، دار العودة، ط١، ١٩٨١، ص(٥٧–٦٢).

5 محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص١٩٧.

خرج زيد من المدينة المنورة، يحمل رأياً سياسياً في مسألة الخلافة، وقال إن عليا لم يوصَ إليه بالخلافة بالشخص بل بالوصف وأقر زيد خلافة أبي بكر وعمر لقيامها بالحق والعدل[1]. ويؤكد ابن خلدون[2]، في مقدمته ما تراه الزيدية في فقهها السياسي القائم على التسامح والاقتراب من فكر أهل السنة.

وقد انقسمت الزيدية بعد الإمام إلى ثلاث فرق خالفت رأي الإمام زيد في مسألة خلافة أبي بكر وعمر وهي:

الجارودية: نسبة لصاحبها أبي الجارود بن أبي زياد.

السليمانية: نسبة لصاحبها سليمان بن جرير.

الصالحية: نسبة للحسن بن صالح[3].

وقد تختلف وتتفق في بعض القضايا. ومركز المغالين في الفكر الزيدي (ذمار وصعدة) وبعض الشيوخ في صنعاء[4]. ويشارك الفكر الزيدي الفرق الشيعية الأخرى في جواز التقية وزكاة الخمس، وتخالف الإمامية في زواج المتعة وتحرمه[5] والاختلاف بين أهل السنة والزيدية في الفروع فقط.

ويوجب علماء الزيدية على أتباعها الاجتهاد فإن عجز المجتهد في الاجتهاد جاز له التقليد، وتقليد أهل البيت قبل الغير. ويقر علماؤها الخروج على الحاكم الظالم ولا تجب طاعته.

أما الإمام الشافعي فقد تتلمذ على يد أبي مطرف بن مازن الصنعاني في اليمن، الذي ولي القضاء بصنعاء، وأبي عبدالرحمن بن هشام بن يوسف، وعمر بن أبي سلمة، صاحب الأوزاعي إمام أهل الشام، ويحيى بن حسان صاحب الليث بن

---

1 نفس المرجع، ص ٦٥٦.

2 عبدالرحمن ابن خلدون: المقدمة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص١٩٧.

3 انظر باتساع لمفهوم هذا الفرق: في الشهر ستاني: مرجع سابق، ص(٦٦-٦٩).

4 عبدالوهاب آدم مرجع سابق، ص٧٧.

5 مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط٧، ١٩٧٩م، ص٢١٢.

سعدة، بذلك أجتمع لدى الإمام الشافعي (الفقه المالكي، والفقه المدني، والفقه اليمني)[1]. ولم يتبلور المذهب الشافعي، عند مجيئه إلى اليمن، ولكن بتولي الشافعي قضاء نجران كسب شعبية لما توافر لديه من عدل، ورفع المظالم عن الناس، وبعد رحيل الشافعي إلى العراق، ونشر مذهبه هناك، توجه إلى مصر، وعاش فيها ونشر أتباعه مذهبه، وتوفي في مصر عام ٢٠٤هـ[2].

ومن آراء الشافعي السياسية أن الإمامة عنده أمر ديني لابد من إقامته، وهو لا يرى أن الإمامة في قريش إلا أنه إذا تغلب متغلب وكان قرشياً، ثم عدل واستقام له الأمر، واجتمع الناس له فإنه يعد إماماً[3]. ويقر الشافعي أن أحق الناس بالخلافة كان الصديق، ثم الفاروق، ثم ذو النورين (عثمان) ثم علي بن أبي طالب[4].

وفي الجانب الفقهي أخذ الإمام الشافعي بمبدأ الإجماع، وهو مزيج من فقه أصحاب الرأي، وهم أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب مالك. ويأخذ الشافعي بالقياس، وقعّد القواعد للرأي الذي يعتقده صحيحاً، والاستنباطات التي لا تكون صحيحة، فرسم حدود القياس ورتب مراتبه[5] وأبطل الشافعي مبدأ الاستحسان وهو المبدأ الذي أخذ به أبو حنيفة من قبل وهو أن الاجتهاد بطريق الاستحسان من غير الاعتماد على أصل من الشرع أو نص من الكتاب والسنة يكون اجتهاداً باطلاً ونتيجته تبعاً لذلك باطلة[6].

---

1 أحمد نحراوي عبدالسلام: الإمام الشافعي في مذهبه القديم والجديد، القاهرة، مكتبة الشباب، ط١، ١٩٨٨م، ص ٤٤٢.

2 نفس المرجع: ص٨٦.

3 محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص٤٤١.

4 نفس المرجع: ص٤٤١.

5 أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٨٨، ص(٥٦- ٥٨).

6 مصطفى الشكعة: مرجع سابق ص٣٢٢.

وتعتبر مدينة زبيد المركز الفكري للشافعية في اليمن وصار مذهب الدول السنية التي حكمت اليمن. وهذه الدول استقرت بمناطق عرفت باليمن الأسفل.

خلاصة القول أنه انتشر في اليمن نقيضان من المذاهب، ففي اليمن الأسفل مال الشافعية في الأصول إلى مذهب الأشعري وأخذ بعضهم بمذهب الإمام ابن حنبل. وفي الجزء الأعلى من اليمن انتشر مذهب المعتزلة، ولقي قبولا في أوساط الزيدية فكانوا زيدية حنفية في الفروع ومعتزلة في العقيدة[1].

أما الإسماعيلية التي حكمت اليمن فقد مرت بفترتين:

الفترة الأولى: كانت في عهد علي بن الفضل[2] ومنصور بن فرج بن حوشب في القرن الثالث للهجرة. وانتشرت من يافع في جنوب اليمن إلى حاشد في شمالها وإلى زبيد في غربها. واستطاع زعيم همدان الأمير أسعد بن أبي يعفر من غزو عاصمة علي بن الفضل "مذيخرة" و إبادته واتباعه عام ٣٠٤م[3].

الفترة الثانية: تبدأ في عهد علي بن محمد الصليحي ٤٣٩ إلى ٤٥٨هـ (١٠٤٥ – ١٠٦٦م) وهو مؤسس الدولة الإسماعيلية الثانية. وقد ناصرته قبائل همدان وسنحان وخولان وحراز في معاركه الحربية التوسعية. ضد دولة بني نجاح. وقد توفي المكرم بن علي الصليحي ٤٥٨ – ٤٨٤ هـ (١٠٦٦م) وأسند بالوصية بالملك إلى زوجته السيدة أروى بنت أحمد "الصليحي" و أسند الدعوة إلى ابن عمه سبأ بن أحمد المظفر بن علي الصليحي. وحكمت السيدة أروى معظم بلاد اليمن. وكان لها دور في البناء والتشييد مازالت قائمة حتى اليوم، أهمها جامع ذي جبلة – وكانت جبلة عاصمة لدولتها – وأقامت الجناح الشرقي للجامع الكبير بصنعاء، وقامت برصف الشوارع بالأحجار، وأقامت إلى جانب المساجد معاهد تعليمية[4].

---

1 أيمن فؤاد سيد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن، مرجع سابق، ص٧٩.

2 أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ط٢، ١٩٦٤م، ص١٩٤.

3 نفس المرجع: ص ١٩٥.

4 نفس المرجع: ص ٢٠٣.

إلا أن الطائفة الإسماعيلية في اليمن بحكم ترحالهم التجاري وسريتهم في الدعوة وقلة عددهم لا يشكلون بعداً سياسياً تخشاه الدولة وربما ذلك يعود إلى عدم رصد تحركاتهم، ويواجهون عداءً شديداً من التيار الزيدي الشيعي والجماعات الوهابية.

إن أهم مظاهر الخلاف المذهبي والعقائدي بين اليمن والسعودية، هو تكفير الوهابيين للطائفة الزيدية وشأنهم شأن الشيعة الإمامية لأنهم يتشيعون لأهل البيت النبوي إلى درجة المغالاة.

و بذلك يبقى البعد الديني له أثره الانقسامي الانعزالي بين الحكومة السعودية والحكومة اليمنية فالوهابية بآرائها المغالية تجاه الاتجاهات الإسلامية السياسية المتعددة خارج السعودية وبصفة خاصة تجاه اليمن تبقى عائقاً في التقارب بين الشعبين لأنه بالمقابل فإن مفكري الفكر الزيدي يرون بالوهابية خطراً على اليمن.

ويرى الباحث أن الصراع بين الاتجاهات الإسلامية التي تعيش على قمة السلطة أو خارجها، سواءً في اليمن أو السعودية لا يستقيم أمرها إلا إذا وحدت أهدافها ونظمت اتجاهاتها، وبقيت خارج الدائرة المذهبية وتتعايش مع بعضها من أجل وحدانية الله والنضال ضد الهيمنة الإمبريالية بكل صورها وأشكالها.

أما الصراع داخل الدائرة الحركية المذهبية قديمها وحديثها في إطار فكر الاختلاف على السنن العبادية، فلن يزيد الموقف الفكري الديني إلا تعصباً ومغالاة.

ويقتضي الموقف الإصلاحي الخروج من أزمة الاختلاف المذهبي إلى وحدة الاتفاق في إطار الثوابت العقائدية وفق منظومة الفقه العبادي والفقه السياسي.

مما سبق لاحظنا أن العلاقات بين اليمن والسعودية هي علاقات ذات أبعاد مشتركة جغرافية، واقتصادية وإيديولوجية مذهبية. وقد تطورت العلاقات بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها منذ فترة التكوين التاريخي الجديد للدولتين العربيتين الجارتين في مطلع القرن العشرين.

كانت منطقة عسير[1] جزءاً من جبال السراة تمتد من بلاد اليمن حتى سراة الحجاز وهو إقليم يضم جبالاً شامخة مترامية الأطراف تتخللها أودية وشعاب وعرة المسالك[2]، وكانت خاضعة للسيادة الإدريسية[3].

لقد برز محمد الإدريسي كشخصية طموحة في عام ١٩٠٧م، وكان على وفاق مع الإمام يحيى فتحالف معه على النضال ضد التواجد العسكري التركي في اليمن. وكان دور الإدريسي هو حماية ظهر الإمام يحيى، عندما يقوم بالزحف جنوباً[4].

كان الإمام يحيى، يخشى من قوة نفوذ الإدريسي بين قبائل عسير[5]. وكان الجزء الشرقي من عسير قد استولى علية ابن سعود[6] واتسعت رقعة الدولة السعودية

---

1 عسير: قبيلة في الجزيرة العربية تسمت باسمها منطقة عسير. وهي بلاد جبلية تقع غربي الجزيرة العربية بين الحجاز والقبائل المحاذية للبحر الأحمر مساحتها (٨٠.٠٠٠ كم٢) وهي من المناطق الغزيرة الأمطار. وأهم مدنها (أبها، بيشة، تربة، جيزان، محايل، خميس مشيط، أبو عريش، صبيا، حلي). انظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص٤٧٠.

2 أميرة علي المداح: المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة، رسالة للحصول على درجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم التاريخ الإسلامي، ١٩٨٥/ ١٤٠٦ ص ٢٢.

3 الأدارسة: ينتسب الأدارسة إلى السيد أحمد بن إدريس من الهاشميين الأدارسة في المغرب، ولد عام ١١٧٢ هـ/ (١٧٥٨م) في بلدة العريش من المناطق التابعة لمدينة "فاس" بالمغرب. تعلم في مدينة فاس، درس التصوف وأصبح قطباً من أقطابه، واشتهر بطريقة الأحمدية، ورحل إلى مصر وأقام فيها فترة ثم توجه إلى مكة المكرمة. وبقي فيها قرابة ثلاثين عاماً ثم توجه بعدها إلى اليمن لنشر طريقته الصوفية، فأقام في زبيد وطاف بتهامة ثم استقر في منطقة "صبيا" القريبة من أبي العريش وأصبح قبره مزاراً بعد وفاته، مما ميز أسرته بالمكانة الروحية في المنطقة مما أعطى حق السيادة لأحفاده على منطقة عسير. انظر أمين الريحاني: ملوك العرب، مرجع سابق، ص٢٩٣.

4 سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث والإمام يحيى ١٩٠٤ – ١٩٤٨، القاهرة، دار القومية العربية للطباعة، ط٢، ١٩٧١، ص١٦٣.

5 أمين الريحاني: ملوك العرب: مرجع سابق، ص٣١٧: ويلاحظ الريحاني، أن الإدريسي كان ذكياً ذا دهاء، يستعين على عدوه بكل ما حوله من شقاقات وزعامات.

6 عيد مسعود الجهني: مرجع سابق، ص ١٢٩/ ويضيف: أنه بعد انسحاب القوات التركية من

وأصبحت تهدد الأراضي اليمنية الأخرى. وأصبح الجزء الآخر من عسير تحت نفوذ محمد الإدريسي، واستطاع عام ١٩١٠م أن يزيح الأتراك من معظم أراضيه.

بعد اتفاقية "صلح دعان ١٩١١" بين الأتراك والإمام يحيى، الذي التزم الإمام بموجبه ألا يحرك ساكناً تجاه العثمانيين مقابل الاعتراف به حاكماً على المناطق الزيدية فقط، وترك الإدريسي وحيداً في الساحة يواجه الأتراك[١].

وعندما دقت طبول الحرب بين إيطاليا والدولة العثمانية بسبب الخلاف على طرابلس المغرب، استغل الإدريسي الفرصة ووقع مع الإيطاليين اتفاقية في عام ١٩١٢م حصل بموجبها على أسلحة[٢]. وعندما تمكنت إيطاليا من احتلال طرابلس الغرب انتزعت من العثمانيين الاعتراف بالاحتلال في صلح "أوشي" نتج عن هذا الصلح انتفاء الغرض من ارتباطهم بالإدريسي فتخلوا عنه[٣].

وأصبح الإمام يحيى والأتراك العثمانيون خصمين للإدريسي، وقد نقل أحد الأتراك الرسميين "Jacob" نقلاً عن سيد مصطفى سالم قوله: "أن الإمام كان يتصرف لمدى كبير تبعاً لخطة في ذهنه، وكان يعمل هذا طالما كان خصمه الإدريسي موجوداً دون أن يقهر، ولكن بعد أن ينهار الإدريسي، فإن الأمور ينبغي أن تتغير، مادام كل من الأتراك والإمام لا يثق كل منهما في الآخر. فكلاهما ـ

المنطقة الشرقية عام ١٩١٩م استطاع شيخ قبيلة آل عائض حسن بن علي بن محمد بن عائض أن ينصب نفسه أميراً عليها إلا أنه وقع في خلاف مع ابن سعود، وفي معركة (حجلة) هزمت قواته وفرض عليه الاستسلام وضمت منطقة عسير الشرقية للمملكة السعودية.

1 انظر: اتفاقية دعان التي عقدت بين الإمام يحيى حميد الدين وأحمد عزت باشا. ويرى الباحث أنه على الرغم من أن معاهدة دعان ١٩١١م التي عقدت بين الحكومة التركية وممثل قوى المعارضة الإمام يحيى حميد الدين، تعتبر معاهدة هدنة بين طرفين متنازعين، إلا أن نصوصها حملت طابعاً طائفياً في التوصيف الوظيفي للإمام يحيى، ومع ذلك فهي في مضمونها تكتيك سياسي مؤقت .... ومقدمة لمشروع دولته المستقبلية.

2 انظر الوثيقة البريطانية التي تفسر التعاون العسكري بين الإدريسي والإيطاليين عام ١٩١٢م. رقم٤ (NO. 221 E. F. O. 371/ 1570)

3 عيد سعود الجهني: مرجع سابق، ص١٣٥.

على أي حال ـ كانا متفقين (إشارة إلى صلح دعان ١٩١١) تحت ضغط ضرورة القضاء على البيت الإدريسي"[١].

وأثناء النزاع الإيطالي العثماني في طرابلس الغرب، قامت القوات الإيطالية بضرب ميناء جيزان، فأخلاه العثمانيون وسيطر عليه محمد الإدريسي، دخلت كل من جيزان، وميدي، وشقيق والبرك، والقور، تحت نفوذه[٢]. وكان هدف إيطاليا هو فتح جبهة عسكرية جديدة تشغل العثمانيين عن استرداد طرابلس الغرب إلى جانب بسط نفوذها على المناطق المواجهة لمستعمراتها في إرتيريا على الساحل الغربي للبحر الأحمر[٣].

وعقد الإدريسي معاهدة مع بريطانيا عام ١٩١٥م جددها عام ١٩١٧م اعترفت بريطانيا بسيادة الإدريسي على جزر فرسان، وبأنها أصبحت جزءاً من المخلاف السليماني ومنحته بريطانيا حق السيادة على تهامة من اللحية إلى القنفدة شمالاً وتعهدت بحمايته من أي تعد خارجي ومن جانبه تعهد بألا يقيم أي علاقة تجارية أو سياسية مع أي دولة أجنبية إلا بعد الرجوع إلى الحكومة البريطانية وموافقتها[٤]. ورحب الإنجليز بتحالفهم مع الإدريسي ضد الدولة العثمانية. كعملٍ وقائي ضد أية محاولة معادية يبديها الإمام يحيى ضدهم[٥].

إلا أن الإدريسي كان لا يأمن جانب الإنجليز وخاصة بعد الوفاق الذي تم بين إيطاليا وتركيا. كما أن التحالف بين الإدريسي والإنجليز استمر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وخروج الأتراك من اليمن، وقد استفاد الإدريسي والإنجليز

---

1 نقلاً عن سيد سالم: مرجع سابق، ص١٦٤ Jacob: King of Arabia. P. 50

2 انظر: مجلة المنار: الجزء ٦ م ١٦ (٣٠ جمادى الثانية، سنة ١٣٣١هـ) (يونيو ١٩١٣)، ص٤٦٧.

3 انظر الوثيقة البريطانية: رقم (No. 221. E. F. O. 371/ 1570.)

4 خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز – جـ٢ ، ط٢، ١٣٧٩هـ /١٩٧٧م، بيروت، دار العلم للملايين ص٥٣٤ انظر أيضاً أميرة المداح: مرجع سابق، ص٣١٧.

5 سيد سالم: مرجع سابق ص٢٢٢: أنظر كذلك:

Hurewitz J.C.: Diplomacy in the Near and Middle East Vol. 11. P. 12.

اقتصادياً حيث ظلت موانيه مفتوحة في الوقت الذي حوصرت كل الموانئ اليمنية واستطاع أن يتحكم في التجارة والأسعار[1].

وعندما قامت قوات الإمام يحيى بالهجوم على منطقة "الضالع" رد الإنجليز بالجلاء عن الحديدة في أواخر يناير عام ١٩٢١م وتسليمها إلى الإدريسي، رغم إدراك الإنجليز أنها المنفذ اليمني الطبيعي على البحر الأحمر[2].

وقد فشل الإدريسي في إدارة المدينة واستبد موظفوه بالسكان وهاجر كثير من التجار إلى عدن وكان رد الإمام يحيى على الدور الذي لعبه الإنجليز هو الاتصال بالإيطاليين، لحاجته إلى حليف يؤمن من خلاله الحصول على معدات عسكرية.

وعقد الإمام يحيى معاهدة صداقة مع إيطاليا عام ١٩٢٦م، كما اعترفت إيطاليا - ضمن المعاهدة في المادة الأولى باستقلال اليمن وحكومة الإمام يحيى[3]. وحرصت المعاهدة على تنظيم العلاقات بين الدولتين، والتزمت إيطاليا بتقديم مساعدات اقتصادية وفنية لليمن، وأن يقوم بينهما علاقات تجارية[4].

كما تطورت العلاقة بين محمد الإدريسي وابن سعود إلى عقد معاهدة صداقة في ذي الحجة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ووقعت بتاريخ ١٠ صفر ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م[5].

وعند وفاة محمد الإدريسي انقسمت الأسرة الحاكمة إلى مجموعتين، مجموعة علي بن محمد الإدريسي، والثانية مجموعة عمه الحسن الإدريسي - وحسم الصراع

---

1 محمد علي الشهاري: المطامع السعودية التوسعية في اليمن، بيروت، دار ابن خلدون، ط١، ١٩٧٩م، ص ١٦، انظر الوثيقة البريطانية رقم: No. 12 E. F. O. 195- 2376.

2 سيد سالم: مرجع سابق، ص٢٧٣.

3 منصور علي الزنداني: العلاقات اليمنية بالدولتين العظمتين ١٩٦٢ - ١٩٨٤م، رسالة دكتوراة (غير منشورة) لنيل درجة الدكتوراة في العلوم السياسية، جامعة القاهرة، كلية العلوم السياسية، ١٩٨٨م، ص٦.

4 سيد سالم: مرجع سابق، ص٥٢٦.

5 عيد سعود الجهني: مرجع سابق، ص ٣٠٧، والملاحظ أن الاتفاقية المدونة ضمن ملاحق الجهني سجل عليها توقيع وختم نائب الإمام الإدريسي لا غير.

لصالح الحسن. عندها زحفت القوات اليمنية نحو الحديدة واستولت عليها وساعد انتصارات الإمام يحيى، اتفاقه مع قبيلة الزرانيق العتيقة، واستطاع قائد القوات اليمنية "عبدالله الوزير" أن يسيطر على باجل والحديدة من دون حرب واستلم الموانئ التي على ساحل البحر الأحمر، وعين عليها عمالاً وحكاماً ومعلمين[1].

واستطاع الإمام يحيى أن يخرج الأدارسة ويحصرهم في عسير، فطلب الأمير الحسن من ابن سعود حق الحماية فلم يرض بالبدء، عندئذ أسرع إلى التفاوض مع الإمام يحيى على أساس أن تحتفظ الإمارة الإدريسية بسياستها الداخلية إلى جانب اعترافها بالسيادة الزيدية عليها[2] فرفض الإمام هذا العرض. وعندما أصبحت قوات الإمام يحيى تهدد مركز الإدريسي "بصبيا" و"جيزان" طلب الإدريسي النجدة من ابن سعود "عبدالعزيز" وعقد معاهدة حماية معه والتي عرفت بمعاهدة "مكة المكرمة في أكتوبر ١٩٢٩م".

كانت هذه المعاهدة بداية لرسم الخريطة السياسية بين اليمن والسعودية. وقام ابن سعود بإرسال وفد سعودي إلى صنعاء، وحمل نص المعاهدة لعرضها على الإمام يحيى. وصل الوفد إلى صنعاء في يونيو ١٩٢٧م.

وبقي فيها حتى يوليو ١٩٢٧م. واتضح للوفد السعودي أن الجانب اليمني يضع عسيراً جزءاً من اليمن. وأن الأدارسة دخلاء واليمن لا تعترف بانضمام القسم الشرقي من عسير إلى السعودية، وطالب الإمام بعسير كلها.

ويحدد المنظور السعودي رؤيته لإقليم عسير "أن عسيراً ليس من اليمن، وأنه ليس لأئمة الزيود أي حق من الحقوق فيه. وأن حدود المقاطعة تمتد من المخا إلى زبيد إلى مركز باجل من جهة الجبال. وأن هذه القطعة بحدودها المبينة قسم واحد لا يتجزأ وكانت خاضعة للسيد محمد الإدريسي أيام حكمه وهي داخلة ضمن

---

1 عبد الواسع بن يحيى الواسعي: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٦هـ ص ٢٧٤.

2 سيد سالم: مرجع سابق، ص ٢٨٢.

الحدود التي شملتها معاهدة الملك عبدالعزيز مع السيد حسن الإدريسي، ولذلك فإنها تعتبر من حقوق جلالة الملك عبدالعزيز"[1].

إلا أن الحوار استمر مرة أخرى في صنعاء ابتداءً من ديسمبر ١٩٢٧ وحتى يناير ١٩٢٨ ولتخفيف وطأة الخلاف مع الإمام يحيى اقترح ابن سعود استبقاء عسير منطقة مستقلة كدولة وسط بين السعودية واليمن لتجنب نشوب الحرب، كما ألمح الملك السعودي: "أنه لا يريد أكثر من أن تكون هناك في عسير حكومة يمنية محايدة بين الإمام وحكومتنا"[2].

إلا أن المحادثة بين الجانبين أفضت إلى وضع تصور أولي حول مسألة الحدود بين الدولتين على أن تكون الحدود الشرقية من نجران للملك عبدالعزيز، ومن وائلة تتبع اليمن، ومن ابن صبحان وجنوباً تتبع لليمن، ومنه وشمالاً تابع لعسير ومنها إلى تهامة معلوم، أما القبائل التي لم تسلم الزكاة لأحد فيهم فهي للملك عبدالعزيز وحدودها من العرو جنوباً تابع لليمن ومنه وشمالاً تابع لعسير، وأما تهامة فبموجب التفويض الذي عند الملك عبدالعزيز يكون الحد "ميدي" بين الحكومتين وقد وافق مندوب اليمن على الحدود، ولكنه طالب بالأدارسة، لكن الوفد السعودي رفض ذلك"[3].

هذا النص من الحوار لم ينشر ضمن الوثائق السعودية. لقد بدأ توتر العلاقات بين اليمن والسعودية، منذ التوسع السعودي نحو مكة والمدينة، ففي أثناء الحرب

---

١ عيد سعود الجهني: مرجع سابق، ص ١٤٤؛ انظر: وزارة الخارجية السعودية، بيان العلاقات اليمنية السعودية، ص ٢ - ٣.

٢ محمد علي الشهاري: المطامع السعودية التوسعية في اليمن، مرجع سابق، ص ١٥. ويضيف " الشهاري أن الأدارسة حاولوا القيام بانتفاضة ضد الإدارة السعودية كرد فعل على إلحاق إمارتهم بالدولة السعودية ولم يحاول الإمام انتهاز الفرصة ويدفع بقواته لخوض المعركة إلى جانبهم بل ظل حبيس المفاوضات مع ابن سعود.

٣ مقبل عبدالعزيز الذكير: حوادث عسير واليمن والحجاز (مخطوطة). ورقة (٣٢). نقلا عن الجهني: مرجع سابق، ص ١٤٥.

بين الشريف حسين وابن سعود، قامت قوة عسكرية سعودية بمهاجمة الحجاج اليمنيين العزل، في وادي "تنومة" جنوب الحجاز ظناً منهم أن الحجاج العزل من السلاح كانوا نجدة للشريف ضد ابن سعود، كان عدد هؤلاء الضحايا ما يزيد عن خمسة آلاف حاج، في عام ١٩٢٣م في موسم الحج سنة ١٣٤٠هـ. وقد سويت تلك القضية على قبول ابن سعود دفع دية الحجاج الذين قتلوا[١].

وفي الجولة الثانية من الحوار بين ابن سعود والإمام يحيى عاد الوفد السعودي مرة ثانية إلى صنعاء واستمرت جلساته خلال شهري نوفمبر و ديسمبر من عام ١٩٢٧م ويناير ١٩٢٨م. وأجريت المفاوضات حول إقرار الوضع الراهن[٢]. وانتهت المفاوضات الثانية على أن يرسل الإمام يحيى مندوبين عنه إلى الملك ابن سعود لشرح وجهة نظره في المسألة المحورية بين الدولتين[٣].

وفي هذه الأثناء أرسل الملك ابن سعود إلى الإمام يحيى خطاباً بتاريخ ٤ محرم سنة ١٣٤٧هـ (٢٤ يونيو ١٩٢٨م) ليحدد فيها معالم العلاقات بين الدولتين من خلال المفاوضات. وتضمن الخطاب محددات العلاقات المستقبلية بين الدولتين من خلال اتفاقية ثنائية بين الدولتين. وإزالة التوتر على الحدود، ووضع حد لأي إشكال في المستقبل ومنع ما يوجب من سوء تفاهم والسعي نحو توطيد السلام.. كما أضاف الملك عبدالعزيز تحذيراً مبطناً بخطابه بالقول "إننا سنبذل جهدنا في توطيد السلام إلا ما يوجبه الدفاع عن الكرامة والشرف. وكل ما لدينا قد أبديناه شفاهاً لمندوبكم"[٤].

---

١ عبدالله عبدالكريم الجرافي: المقاطف من تاريخ اليمن، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٥١، ص ٢٢٦.
انظر أيضاً: محمد علي الشهاري: المطامع السعودية التوسعية في اليمن، مرجع سابق، ص(١١٣- ١١٤).

٢ سيد سالم: مرجع سابق، ص٣٤٥.

٣ الجهني: مرجع سابق، ص١٤٥.

٤ سيد سالم: مرجع سابق: وزارة الخارجية السعودية: بيان العلاقات اليمنية السعودية، ص(٥- ٦).

وعاد الوفد اليمني من مكة دون أن يحقق شيئاً يذكر. وفي صيف عام ١٩٣١م احتلت قوات الإمام يحيى "جبل العرو" على حدود عسير وأخذت بعض الرهائن. كما حرضت القبائل على التخلي عن ارتباطهم بابن سعود[١].

والملاحظ أن الإمام يحيى لم يستوعب سياسة الاحتواء الشعبي لصالحه، فالمناطق التي استسلمت لحكمه فرض عليها "رهائن" وهو أسلوب بدائي لا يتمشى مع الأعراف التقليدية التي عاشها سكان شبة الجزيرة العربية كلها تحت ظل الدولة العثمانية، لذلك كانت هذه القبائل تنفر منه. وتحبذ ابن سعود الذي يتعامل معها بدبلوماسية أكثر تفهماً من الإمام ولذلك نجح ابن سعود في إخضاع معظم القبائل واحتواها بطريقة أفضل.

لقد احتج ابن سعود على هذا التصرف وطلب تفسيراً لذلك، فأجابه الإمام يحيى بأن هذه رغبة الأهالي بالمنطقة .. وانتهت القضية بعقد اتفاق بين الدولتين. وجرت مفاوضات أسفرت عن عقد اتفاقية مكة أو ما تسمى معاهدة "جبل العرو" ١٥ ديسمبر ١٩٣١م وتشمل ثماني مواد تنازل بموجبها ابن سعود عن المنطقة للإمام "يحيى" واتفقا على حسن الجوار. وتبادل المجرمين[٢].

في عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م أعلن ابن سعود، قيام "المملكة العربية السعودية"[٣] وفي ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م أصدر مرسوماً أعلن بمقتضاه تحويل نجد والحجاز وملحقاتها إلى مملكة موحدة، وهي المملكة العربية السعودية[٤] ... وفي الخامس من نوفمبر ١٩٣٢، كان رد فعل الإدريسي أن قام بهجوم كاسح على ميناء جيزان،

---

١ نقلاً عن: سيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص٣٥٨

Survey of International Afairs. 1934, p. 313.

٢ سيد سالم: مرجع سابق، ص ٣٦٣، انظر: خديجة الهيصمي: مرجع سابق، ص٦٨، وكذلك: أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، من القرن العشرين، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٤م، ص٢٨٠.

٣ محمد علي الشهاري: المطامع السعودية التوسعية في اليمن، مرجع سابق، ص١٧١.

٤ الجهني: مرجع سابق، ص ١٤٧، انظر: سيد سالم: مرجع سابق، ص٣٦٥. انظر أيضاً: إيلينا جولوبوفسكايا: ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن، مرجع سابق، ص٢٨.

وبعد يومين دخل المدينة وألقي القبض على الأمير السعودي "فهد بن زغير" وعلى العاملين معه. وفي نفس الوقت أرسل إلى الملك عبدالعزيز يعترف له بما حدث.

إلاّ أن ابن سعود قام بإجراء عسكري سريع ضد الإدريسي وهاجم "جيزان" وأخرج الإدريسي منها في فبراير ١٩٣٣م. فلجأ الإدريسي إلى الإمام يحيى[١] وبعث ابن سعود برقية للإدريسي يخبره بأن الإدارة الإدريسية أصبحت تحت الحماية السعودية[٢]. وفي نفس الوقت من عام ١٩٣٣م أعلن الملك عبدالعزيز رسمياً ضم إمارة عسير إلى المملكة السعودية.

ووفقاً لمعاهدة ـ العرو ـ (مكة المكرمة) لعام ١٩٣١م طلب من الإمام يحيى تسليم الإدريسي وكان الإمام يطلب العفو لهؤلاء اللاجئين. واتفق الطرفان على عقد مؤتمر بين مندوبيهما في "ميدي" وفي هذه الأثناء برزت فكرة التسوية التي تفضي إلى إبقاء الوضع كما كان عليه قبل نوفمبر عام ١٩٣٠م[٣].

الملاحظ أن الإمام يحيى لم يستنكر ضم إمارة عسير والتي لم تقرها اتفاقية العرو ١٩٣١م، بينما ابن سعود يساوم على الفارين وفقاً لاتفاقية العرو. في الوقت نفسه كانت القوات اليمنية بقيادة الأمير سيف الإسلام أحمد، تزحف نحو نجران في مايو ١٩٣٣م، في مطاردة لقبائل "يام" وعند استسلامهم وإقرارهم بسلطة الإمام يحيى توجه إلى مدينة (بدر) ثاني أهم مدن "نجران"[٤] وهذه المدن يعتبرها ابن سعود ا جزءاً من نجد، ويرى أن تظل متمتعة باستقلالها الذاتي ولم يقبل أن تخضع نجران لنفوذ الإمام يحيى[٥] ومنطقة "نجران" منطقة هامة تقع في شمال اليمن على حدود عسير.

---

١ عمر غرامة بن العمروي: المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبدالعزيز، الرياض، دار الطحلاوي للنشر، ١٩٨٥م، ص٤٩٤.

٢ محمد علي الشهاري: المرجع السابق، ص(١٤٧- ١٤٨).

٣ الجهني: مرجع سابق، ص١٤٨.

٤ سعيد أحمد الجناحي: الحركة الوطنية اليمنية من الثورة إلى الوحدة، دمشق، مطبعة الكاتب العربي، ط١، ١٩٩٢، ص٤٨.

٥ نفس المرجع: ص٤٨، انظر: سيد سالم: مرجع سابق: ص٣٦٨.

واستمرت الاتصالات بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى تمهيداً لعقد مؤتمر لوضع التسوية النهائية .. ورأى الملك عبدالعزيز أن يكون المؤتمر في "أبها" وعقد المؤتمر في ١٦ فبراير ١٩٣٤م. إلا أن المفاوضات فشلت .. وفي ٢٢ مارس أعلنت الحكومة السعودية فشل المؤتمر، وأصدر الملك عبدالعزيز أمراً لقواته لصد القوات اليمنية التي توغلت في أراضي عسير[١].

وهدد الوفد السعودي بأن السلم أو الحرب متوقفان على قضية نجران. وكان رئيس الوفد اليمني "عبدالله الوزير" يرى: "أن البلدين كالجسم الواحد ولا لزوم لتعيين الحدود لأن كل من تحت يده شيء فهو معلوم أنه له" وهدد الوفد السعودي بقطع المفاوضات إذا لم تحدد الحدود تحديداً يرضي الجانبين[٢]. وكان رأي الوزير في غاية الدهاء، حيث كان يدرك أن قوات ابن سعود منهكة لسببين الأول: بسبب حروبه مع الشريف حسين.. السبب الثاني تمرد جيش "الإخوان" عليه وتصفيتهم دموياً عام ١٩٢٩م والذين كانوا يمثلون عصب القوة السعودية في حروبه التوسعية السابقة.

بعد إعلان فشل مؤتمر "أبها" توجه ابن سعود بإنذار للإمام يحيى لقبول شروطه تحديداً يوم الخامس من أبريل ١٩٣٤م وأصدر في نفس الوقت أمره إلى ابنه سعود في نجران بأن يعبروا الحدود في نفس اليوم المحدد.

ويحدد "ولينكسون" الموقف العسكري أنه بعد انهيار المفاوضات بين اليمن والسعودية، اندلعت الحرب، فأرسلت بريطانيا إلى الحديدة، فرقة عسكرية لتأمين تجارتها ومصالحها وتبعها الإيطاليون. وبعده بوقت قصير دخل الأمير فيصل ميناء الحديدة وصار الطريق مفتوحاً إلى صنعاء[٣].

---

١ Survey of international Affairs 1943. P. (316-317).

نقلاً عن: سيد سالم: مرجع سابق، ص ٣٧٨.

٢ نفس المرجع: ص٣٨٠.

٣ جون. س. ولينكسون: حدود الجزيرة العربية. قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء: ترجمة: "مجدي عبدالكريم" القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٣م، ص٣٣.

كانت القوات السعودية أكثر عتاداً وقوة واستطاعت أن تحرز انتصارات في نجران في أبريل ١٩٣٤م، وتمكنت من احتلال "ميدي، اللحية، والحديدة" ووجد السعوديون أنفسهم على أبواب "صعدة" المركز الزيدي الهام قرب "نجران" وعلى أبواب صنعاء نفسها في جبال تهامة، مما جعل الإمام يحيى يعجل بطلب الهدنة وتوسطت الهيئات الإسلامية في حل النزاع[١].

وقد زودت الجيوش السعودية بناقلات عسكرية ودبابات ومصفحات ومدافع جبلية وبطاريات ومدافع رشاشة وأجهزة ميدان لاسلكية. ومعظم هذه الأسلحة الحديثة مقدمة من بريطانيا، صاحبة النفوذ والحظوة في الرياض[٢].

وخلال الفترة من أكتوبر ١٩٣٣م إلى أبريل ١٩٣٤م زودت الحكومة البريطانية ابن سعود بمليوني رصاصة، بينما احتجزت في نفس الوقت في عدن (٨،٠٠٠ بندقية) مع ذخيرتها، كانت اليمن قد اشترتها من إيطاليا[٣].

وفي أبريل ١٩٣٤م بعث الإمام يحيى برقية إلى الملك عبدالعزيز، قال فيها:

(.. يكفي ما قد كان ونعوذ بالله من شرور المتربصين بالإسلام الدوائر لتحقيق مطامعهم، بلاد "يام" تحت حكمهم، وقد أمرنا برفع جندنا من بلاد نجران، وتفضلوا بطلب السيد عبدالله الوزير، إلى حضرتكم لاستكمال المعاهدة الأخوية عافاكم الله)[٤].

لقد كان الإمام يحيى ينظر إلى الصراع مع ابن سعود على أنه قائم على بعدين أساسين:

---

١ محمود كامل المحامي: اليمن شماله وجنوبه، بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٨م، ص٢٥٦.

٢ محمد علي الشهاري: المطامع السعودية التوسعية في اليمن، مرجع سابق، ص(٢٢١- ٢٢٢) انظر: "مجلة المقطم" عدد (١٣٧٨٩) في ١٩٣٤/٥/٢٩م.

٣ محمد علي الشهاري: طريق الثورة اليمنية (كتاب الهلال)، سلسلة شهرية، القاهرة، دار الهلال، نوفمبر ١٩٦٦م، ص٣٥.

٤ سيد سالم: مرجع سابق، ص ٣٩٧، انظر: عيد الجهني: مرجع سابق، ص٢٤١.

البعد الأول: هو طموح ابن سعود في توسيع رقعته في شبه الجزيرة العربية كونه أصبح حليفاً استراتيجياً لبريطانيا وأمريكا.

البعد الثاني: هو تخوف الإمام من الأطماع الاستعمارية في المنطقة وخاصة عندما توضح للأمام يحيى، خيانة بريطانيا للشريف حسين، الحليف السابق.. وقد تخوف كثيراً من اقتراب السفن الحربية الأجنبية من ميناء الحديدة دون سابق إنذار وهو تهديد مبطن للإمام يحيى وتلويح باستعمال القوة لو حاول الإمام أن يستعمل لغة الحرب الشاملة ضد ابن سعود وإعلان الجهاد الإسلامي ضد القوى المتحالفة معه.

وكان للموقف العربي والدولي من الحرب أثر فعال حيث طلب الإمام يحيى من الهيئات الإسلامية والجمعيات العربية التدخل في حل النزاع بينه وبين ابن سعود، وعقدت هذه الجماعات المؤتمرات وأصدرت البيانات، كما أنها أرسلت وفودها للتوسط بين الدولتين الجارتين، ونشرت صحيفة الأهرام محضر الاجتماع الذي عقد في دار الشبان المسلمين بالقاهرة لمناقشة الحرب الدائرة بين اليمن والسعودية في ١٧ ذي الحجة ١٣٥٢هـ الموافق (٢ أبريل ١٩٣٤م) ومثل الاجتماع لفيفاً من العلماء والمثقفين والصحفيين وكذلك شخصيات سورية وفلسطينية ومغاربة وأندونيسيين[١]، وانتهى الاجتماع إلى تكليف "عبدالحميد سعيد" للتوجه إلى مكة المكرمة ليكون على اتصال باللجنة المتابعة[٢] للتطورات العسكرية، كما تم إرسال برقية إلى كل من الإمام يحيى والملك عبدالعزيز بالتماس الكف عن الحرب والرضا بالتحكيم حقناً لدماء المسلمين[٣].

وأعلن الإمام يحيى قبول شروط الهدنة كما حددها الملك عبدالعزيز، وهي إخلاء جبال عسير، ونجران، وتسليم الأدارسة وعقد معاهدة في مدينة "الطائف" في

---

١ الأهرام: عدد (١٧٧١٤) في ٣/٤/١٩٣٤م (١٨ ذي الحجة ١٣٥٢هـ)، ص٤.

٢ تتكون اللجنة من كل من: الحاج أمين الحسيني (فلسطيني) رئيس المؤتمر الإسلامي، ومحمد علي علوبة باشا (مصر) والأمير شكيب أرسلان (سوريا)، وأحد كبار العسكريين العراقيين اتفق عليه فيما بعد، وتوجهت اللجنة إلى السعودية. انظر: الأهرام (العدد الصادر في ٦ و ٧ أبريل ١٩٣٤).

٣ الأهرام: (٣/٤/١٩٣٤م)، ص٤ (نفس العدد السابق).

١٨ مايو ١٩٣٤م، وتمت المفاوضات تحت رعاية لجنة صلح مكونة من رجالات وفد المؤتمر الإسلامي.

ويمكن القول إن إنجلترا لعبت دورا مهماً لصالح ابن سعود ضد اليمن، لسببين:

السبب الأول: أن ابن سعود رجل سياسي وليس عقائدي، بمعنى أن طموحاته مبنية على أساس مصالحه التوسعية، وربط علاقات جيدة مع إنجلترا ودول أوروبا الغربية وأمريكا، بدليل ما تناولته الصحف الإنجليزية بهذا الشأن، فقد أكدت مجلة (سبكتيتور) هذا الرأي بالقول.. إن الملك ابن سعود صديق إنجلترا، ويدل تاريخه المجيد، في فتح بلاد العرب، على أن الرعايا البريطانيين يكونون دائماً تحت رعايته في مأمن من أن يكونوا في أي جزء آخر من شبه الجزيرة ... فإذا فرض واستطاع الملك عبدالعزيز في النهاية أن يضم بلاد اليمن إلى أملاكه .. ويصير بذلك جاراً لمنطقة عدن فإنه ليس هناك ما يدعو إلى الزعم بأن خطته نحو بريطانيا التي سارت على وتيرة واحدة منذ قبل الحرب يطرأ عليها أي تغيير أو تتحول عن خطة الصداقة والمودة[1].

السبب الثاني: هو أن الإمام يحيى كان رجلاً عقائدياً، فقد حارب الأتراك مع أبيه لسبب مذهبي عقائدي، حيث كانت الإمامة الزيدية الشيعية تنزع إلى فرض السيطرة على كل المذاهب الدينية السنية في اليمن. وهذه النزعة العقائدية تحولت فيما بعد إلى نزعة قبلية استعلائية بحكم الامتلاك لمصادر القوة والسيطرة عليها. ولذلك كان ينظر الإمام يحيى لابن سعود نظرة دونية.. كما كان يرى في الإنجليز قوماً احتلوا الجزء الجنوبي من اليمن واكثروا فيه الفساد وقتالهم جهاد يفرضه الإسلام.

وكان الإنجليز يدركون ذلك، فعملوا على دعم ابن سعود ضد الإمام يحيى العقائدي. ولم يحض الإمام يحيى بدعم مادي أو معنوي في معاهدته مع إيطاليا مثلما حظي ابن سعود مع إنجلترا. فتكالبت عليه المحن والحروب من كل حدب

---

١ الأهرام: العدد (١٧٧٥١) ٢٧ محرم سنة ١٣٥٣هـ، الموافق ١١ مايو عام ١٩٣٤، ص٤.

وصوب، الإنجليز من جهة، والإدريسي من جهة أخرى، والقبائل المتمردة في الداخل. وكانت هذه مقدمات لإغراء ابن سعود للإقدام على حرب مع القوات اليمنية.

ولم تكن إنجلترا هي الوحيدة المهتمة بهذه الحرب بل تبعتها باقي الدول الأوروبية المهتمة بالبحر الأحمر[1]. وقد أشارت الوثائق البريطانية إلى رؤيتها من نتائج الحرب بين ابن سعود و الإمام يحيى بالقول "إننا الآن وجهاً لوجه أمام أحداث قد تغلب التوازن السياسي للساحل الشرقي للبحر الأحمر الذي كان موضوع محادثات روما عام ١٩٢٧م بين إيطاليا وبريطانيا العظمى"[2].

جاءت معاهدة الطائف في مايو ١٩٣٤م لتوظف الأسس التي تضع أوزار الحرب، من خلال لقاء وفدي البلدين واستطاعت المعاهدة أن تحقق انتصاراً سياسياً وعسكرياً لابن سعود كما تمثل هذه المعاهدة منعطفاً تاريخياً جديداً للعلاقات اليمنية السعودية وجاء في مقدمة المعاهدة أنها تؤسس علاقات عهدية ثابتة بين حكومتي الدولتين، على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة. وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلديهما وشعبيهما.

وفي ٢٧ يونيو من نفس العام أعلنت الحكومة السعودية أنه قد تم جلاء الزيديين عن الأقاليم المحتلة في عسير، وأن اليمن قد التزم بكل الشروط المتفق عليها، وفي ١٤ أغسطس أعلنت الحكومة السعودية أن القوات السعودية قد جلت عن الأقاليم التي خصصتها المعاهدة[3].

لقد أدت المعاهدة إلى تحقيق الشيء الكثير، وكان على رأسه خروج نجران وعسير من حوزة اليمن، والمهم من هذا أن الدولتين اتفقتا على تثبيت الحدود التي نصت عليها المعاهدة، وقضت على أسباب التوتر الذي بدأ بين البلدين منذ عام ١٩٢٦م وتطور إلى صراع مسلح في عام ١٩٣٤م. لذلك تكونت لجنة حدود من كلا

---

١ أميرة علي المداح: مرجع سابق، ص٥١٢.

٢ Document: F. O. 371 17926 From sir Drummond to John Simon, Dated 8 May 1934.

٣ نقلاً عن السيد سالم: مرجع سابق، ص٤٢٤. Survey: 1934: P. 318.

الطرفين للقيام بهذه المهام من تحديد الحدود طبقا للأسس التي حددتها وثيقة المعاهدة نفسها، مع مراعاة مصالح القبائل المنتشرة على طول الحدود[1].

وفي عام ١٩٣٥م تم تخطيط الحدود، وتم رسم أول خريطة للحدود اليمنية السعودية عام ١٩٣٦م، وفي عام ١٩٣٧م انضمت اليمن إلى معاهدة الأخوة والتحالف العربي التي كانت بين السعودية والعراق والتي وقعا عليها في عام ١٩٣٦م، وكان أول تحالف عسكري يتم التوقيع عليه من قبل ثلاث دول عربية[2].

وفي عام ١٩٣٧م عقدت معاهدة عسكرية بين اليمن والسعودية، وهي وإن كانت امتداداً للتحالف بين السعودية والعراق والذي عقد في الأول من أبريل ١٩٣٦م. فقد صدر في صنعاء بلاغ مشترك أثر التوقيع على المعاهدة[3].

وشاركت اليمن في مطلع عام ١٩٣٩م في أول اجتماع لوفود الدول العربية في القاهرة لبحث قضية فلسطين وفي نفس العام كانت اليمن ضمن الدول العربية التي شاركت في مباحثات المائدة المستديرة بالقاهرة حول إنشاء الجامعة العربية[4].

وفي عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م وصل إلى صنعاء سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز آل سعود في حاشية كبيرة، وكان الغرض من هذه الزيارة تقوية روابط الصداقة والأخوة بين الحكومتين الجارتين[5].

وفي عام ١٩٤٠م كون محمد محمود الزبيري، وأحمد محمد نعمان، في القاهرة "كتيبة الشباب" وهدفها الاهتمام بشؤون اليمن كل اليمن، وسلطوا مقالتهم على طبيعة الحكم الإمامي في اليمن، وطالبوا من خلال الصحف المصرية بالإصلاح .. في نوفمبر ١٩٤٦ وصل إلى عدن الابن التاسع للإمام يحيى "الأمير إبراهيم" والذي أنضم إلى حركة الأحرار اليمنيين، وكان هدف الحركة إسقاط

---

١ انظر: معاهدة الطائف ولواحقها: الملحق: أنظر: وثيقة عهد التحكيم: الملحق نقلاً عن الجهني.

٢ عيد الجهني: مرجع سابق، ص ١٥٧.

٣ أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ص٣٠٤.

٤ نفس المرجع: ص٣٠٥.

٥ عبدالكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، القاهرة، ١٩٥١م، ص٣٥٢.

أسرة حميد الدين. وفي خريف ١٩٤٧م فقد الأحرار اليمنيون الأمل في تنفيذ الإصلاح على يد الإمام يحيى، فاتصلوا بأسرة بيت الوزير والتي تناصب بيت حميد الدين العداء سراً وتوصلت القوتان المعارضتان للإمام يحيى إلى اتفاق، التزم بموجبه عبدالله أحمد الوزير، بعد اعتلائه العرش بتنفيذ برنامج الإصلاح المقدم من "الأحرار اليمنيين" واتخذ هذا الاتفاق شكله النهائي في ما عرف بالميثاق الوطني المقدس[١].

وفي أواخر فبراير من عام ١٩٤٨م اتخذت المعارضة قرار الإطاحة بالإمام يحيى حميد الدين ونجحت في اغتياله وأخفقت في المحافظة على نظامها الجديد المتمثل بالميثاق الوطني المقدس، ولم تكن حركة ١٩٤٨م[٢] وليدة انفعال أو تأثر رجالها بفكر "الأخوان المسلمين" كما يرى بعض الباحثين[٣]. لقد كان رجالها يطمحون إلى دفع حركة التاريخ لما هو أفضل في اليمن، وسوف يتحدث الفصل القادم عن

---

١ مجموعة من المؤلفين السوفييت: تاريخ اليمن المعاصر ١٩١٧- ١٩٨٢، ترجمة: (محمد على البحر)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ص٨٠.

٢ يرى الباحث: زيد بن علي الوزير " أن الحركة الانقلابية التي أطاحت بالإمام يحيى، أنها ثورة بالمصطلح الحديث، وبكل المقاييس الثورية المتداولة الآن وليست انقلاباً، في رسالة بعث بها "زيد الوزير، إلى الباحث، رداً على استفسار الباحث عن رؤية" اتحاد القوى الشعبية للمتغيرات التي حدثت في ١٩٤٨ ... وهو رأي له ما يبرره من وجهة نظره باعتباره أحد أبناء الشهيد على الوزير أبرز شخصية سياسية في القوى التي أطاحت بنظام الإمام يحيى.

وفي رأي الباحث أن الثورة تقتضي التغيير الشامل للمنهج السياسي الحاكم. وتغيير النظام رأساً على عقب، كما حدث في الثورة الإسلامية في إيران، أو ثورة يوليو ١٩٥٢. ولذلك اعتبر الباحث أن حركة ١٩٤٨تعتبر انقلاباً على أوضاع، حاول رجال الإصلاح بما فيهم "بيت الوزير" مطالبة الإمام يحيى بإعادة النظر فيها واقتضت الضرورة تحت إلحاح "عبدالله بن علي الوزير" القضاء على الإمام يحيى، اغتيالاً ، والسيطرة على الوضع، منهج جديد يدعوا لمشاركة كل الفئات اليمنية في الحكم، من خلال الميثاق الوطني المقدس، الذي قيل أن صياغته تمت تحت أضواء جماعة الإخوان المسلمين في القاهرة.

٣ صادق عبد علي: الحركات السياسية والاجتماعية في اليمن ١٩١٨- ١٩٦٧م، الإمارات العربية المتحدة، دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٩٢، ص١٢٢.

الدور الذي لعبه رجال هذه الحركة، ودور المملكة السعودية والجامعة العربية، في سبيل إيجاد صيغة سلام وحقن الدماء في ساحة الصراع في اليمن.

خلاصة القول: لقد نجح الملك عبدالعزيز بن سعود، في تحقيق حلم أسرته وقبيلته، واستطاع أن يتربع على مساحة شاسعة من شبة الجزيرة العربية، وأطلق على هذه المساحة الكبيرة أسم عائلته، ولأول مرة في التاريخ يطغى اسم العائلة على الأرض والناس. في المقابل كان قائد الحماية العثمانية في صنعاء قد سلم سلطات البلاد للإمام يحيى حميد الدين، الذي كان يناوئ العثمانيين العداء. كان الإمام يحيى يرى أن الأراضي اليمنية التي كانت تخضع للحماية العثمانية لا تتجزأ ويجب عودتها كلها لسلطاته. بما في ذلك جنوب اليمن وشرقه. فناصب الإنجليز العداء ولم يحقق في حروبه ضد إنجلترا في جنوب اليمن أي نجاح.

وعندما توجه الإمام يحيى إلى شمال البلاد لمحاربة الإدريسي. ولجأ الإدريسي إلى ابن سعود ويبدو أن إنجلترا كانت موافقة ابن سعود في قبول لجوء الإدريسي.

وكان ابن سعود يعاني من مشكلة حقيقية في وهن جيشه، نتيجة حروبه التوسعية وكذلك بعد أن قام بتصفية معظم رجاله من الإخوان "الوهابيين" عام ١٩٢٩م. وقامت الحكومة البريطانية بدعم ابن سعود مالياً وعسكرياً مما جعله قادراً على مواجهة قوات الإمام يحيى عام ١٩٣٤م في معركة حقق نصراً ساحقاً على قوات الإمام يحيى فيها .. وعاد ملك اليمن يجر أذيال الهزيمة .. وعقدت معاهدة صلح بين الإمام يحيى والملك سعود.. وسميت بمعاهدة الطائف عام ١٩٣٤م.

نجح ابن سعود في بناء مملكته على أساس الوراثة بين أبنائه حسب الأقدم في السن كما خاب ظن الإمام في إضفاء شرعية الوراثة لأبنائه، وخرج على القاعدة المذهبية الزيدية، فتكونت معارضة عملت على تصفيته في فبراير عام ١٩٤٨م .. ولم يتوان ابن سعود في دعم وريث العرش "الإمام أحمد" في عام ١٩٤٨م. وسقط رجال الانقلاب الذين كانوا يحملون مشروعاً ديمقراطياً ممثلاً "بالميثاق الوطني المقدس".